دأب الصالحين محاسبة النفس ومداومة العمل

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦١١ السنة الثانية والخمسون - صفر ١٤٤٤ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

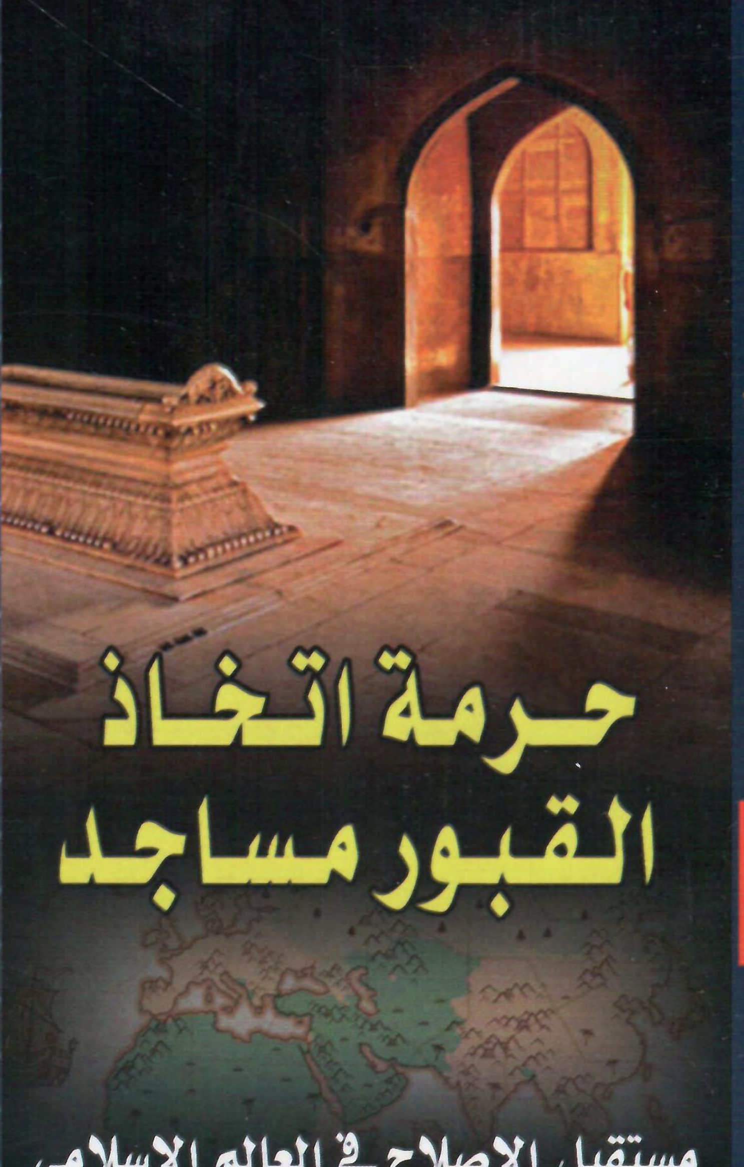

حرمة اتخاذ القبور مساجد

مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي

الشيطان اللعين يحارب المصلين

وقفات مع العدوان الصهيوني على غزة

الآثار الفقهية لاستخدام الشبكة العنكبوتية في الاعتداء على الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

نائب رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام لمجلة التوحيد

د. عبد العظيم بدوي

أ. د. مرزوق محمد مرزوق

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

رئيس اللجنة العلمية

د. جمال عبد الرحمن

اللجنة العلمية

معاوية محمد هيكل

د. محمد عبد العزيز السيد

د. عاطف التاجوري

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٨٠ دولارا أو ٤٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

مطابع الأهرام التجارية ACP

السلام عليكم

من أخلاق الكبار «التغافل»

التغافل عن زَلاَّت الناس أقربهم وأبعدهم يُعَدُّ من أرقى أخلاق أهل الكرم والديانة، فكل ابن آدم خطاء، والمتتبع للعورات والزلات أتعب نفسه وأتعب الناس معه، بل إن تتبع الزلات يفسد أخلاق الناس، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم». والعاقل الذكي مَنْ لا يدقق في كل صغيرة وكبيرة مع أهله وغير أهله، إذا لم يترتب على ذلك مفاسد، ولذلك قال الإمام أحمد رحمه الله: العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل.

والنبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى عنه في موقفه من أخطاء نسائه: « عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ » (التحريم: ٣)، وكذلك نبي الله يوسف عليه السلام لما عدَّد نعم الله تعالى عليه في نجاته من البلايا والمحن لم يذكر منها إنجاءه له من البئر، وذلك لأن إخوته الذين ألقوه في البئر كانوا حاضرين فتغافل عن زلتهم هذه ولم يذكرها لئلا يحرجهم.

وكم جر التدقيق المتواصل والتحري الزائد خرابًا للبيوت، لأنه سلوك مُنَفِّر، وخُلق سيئ لا يُنتج إلا الفساد كما جاء بالحديث السابق، وما زال التغافل من فعل الكرام كما قال سفيان الثوري، وقال بعض الحكماء: وجدتُ أكثر أمور الدنيا لا تجوز إلا بالتغافل، والذي يفتش عن العيوب ويتجاهل المحاسن والفضل لو يعلم ما قاله عنه الشعراء من أنه شر الناس، وأنه كالذباب، لا يقع إلا على الأقذار، لاحتقر نفسه قبل أن يحتقر غيره، قال الشاعر:

شرُّ الورى بمساوي الناس مُشتَغلٌ
مثل الذباب يُراعي موضعَ العلَلِ

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٩ مجلداً
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٩ سنة كاملة

فهرس العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر ٢
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٥
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ٨
مقالات في معاني القراءات: د. أسامة صابر ١١
الشيطان اللعين يحارب المصلين:
الشيخ صلاح عبد الخالق ١٤
ثمرات مجالسة الصالحين: الشيخ صلاح نجيب الدق ١٧
غزوة بدر: د. سيد عبد العال ٢١
حرمة اتخاذ القبور مساجد: د. محمد عبد العزيز ٢٤
وقفات مع العدوان الصهيوني على غزة: د. أيمن خليل ٢٩
أركان: لا إله إلا الله: الشيخ حسين إسماعيل الجمل ٣٢
مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي:
د. عبد الوارث عثمان ٣٣
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨
مدخل إلى علم التفسير: د. محمد عاطف التاجوري ٤١
باب الفقه: د. حمدي طه ٤٤
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٤٧
باب الأسرة المسلمة: د. جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية:
الشيخ علي حشيش ٥٣
نماذج تُحتذى من أعلام وأئمة السلف:
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
دأب الصالحين: محاسبة النفس: د. صالح بن حميد ٦١
الآثار الفقهية لاستخدام الشبكة العنكبوتية:
د. عبد القادر فاروق ٦٤
أمك، ثم أمك، ثم أمك: الشيخ عبده أحمد الأقرع ٦٦
أقوال الفقهاء فيما يجوز للمرأة أن تنظر إليه من بدن
الأجنبي: المستشار أحمد السيد علي ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريال ، الإمارات ١٢ دراهم ، الكويت ١ دينار ، المغرب ٢ دولار أمريكي ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريال ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولار، أوروبا ٤ يورو

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

صلى الله عليه وسلم

من دلائل النبوة

مظاهر تأييد الله لنبيه

الرئيس العام

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولي الصالحين، وأشهد أن نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين. وبعد: فقد ذكرت في اللقاء السابق نماذج يسيرة من تأييد الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، وأواصل في هذا اللقاء ذكر شيء من ذلك، وأقول وبالله التوفيق:

إن من مظاهر تأييد الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أنه سبحانه وتعالى أخذ العهد والميثاق على جميع الأنبياء إن بعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم أحياء أن يؤمنوا به وينصروه، كما قال تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ» (آل عمران: ٨١).

قال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة، وبلغ أيَّ مبلغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمنن به وينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع مَن بُعث بعده ونصرته. قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بُعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حيّ ليؤمنن به ولينصرنه». (تفسير ابن كثير، ج١/٥١٦).

ومن مظاهر تأييد الله لنبيه صلى الله عليه وسلم شهادة بعض علماء أهل الكتاب له بالنبوة والرسالة، ومن هؤلاء عبد الله بن سلام رضي الله عنه؛ قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه، ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خبرني بهن جبريل آنفًا، فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أول أشراط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبدة الحوت، وأما الشبه في الولد،

فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها، قال: أشهد أنك رسول الله. ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بُهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود، ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا وأخيرنا وابن أخيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: شرَنا وابن شرَنا ووقعوا فيه». (البخاري (٣٣٢٦).

كما شهد كثير من كبار علماء النصارى للنبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة، كالنجاشي ملك الحبشة، وقد آمن برسالة الإسلام وصدّق النبي صلى الله عليه وسلم، ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بوفاته صلى عليه هو وأصحابه صلاة الغائب، كما شهد هرقل عظيم الروم للنبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة، وذلك بعد أن وجّه أسئلة متعددة لأبي سفيان عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تبيّن له من خلال كلام أبي سفيان أنه رسول الله حقًا وصدقًا، ولذلك قال في آخر كلامه لأبي سفيان: "وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدمه". (البخاري (٦)، مسلم (١٧٧٣).

وقد وبّخ الله تبارك وتعالى العرب المكذَبين برسالة النبي عليه الصلاة والسلام مع وجود آية عظيمة تدل على صدقه، وهي: معرفة علماء بني إسرائيل وشهادتهم له بالنبوة والرسالة. قال تعالى: « أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ » (الشعراء: ١٩٧).

قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله: «أي: أوليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في الكتب التي يدرسونها؟، والمراد: العدول منهم، الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم، ومبعثه وأمته، كما أخبر بذلك من آمن منهم كعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي». (تفسير ابن كثير، ج٣/٤٧٥).

ومن مظاهر حماية الله لجناب نبيه عليه الصلاة والسلام: تأييده بالمعجزات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم، ويأتي على رأس هذه المعجزات القرآن الكريم، كلام رب العالمين، الذي عجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله، كما قال تعالى: « قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » (الإسراء: ٨٨)، وهذا يدل على شرف القرآن العظيم وعلوَ مكانته؛ لأن الله أخبر أن الإنس والجن جميعًا لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثل القرآن لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه، ولو تعاونوا وتساعدوا، ولما عجزوا تحداهم أن يأتوا بعشر سور منه، كما قال تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (هود: ١٣)، ولما عجزوا ولم يفعلوا تحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة مثله كما في قوله تعالى: « أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » (يونس: ٣٨)، ويلاحظ أنه فتح لهم المجال ليستعينوا بمن شاؤوا، فظهر عجزهم وضعفهم جميعًا عن معارضته، أو الإتيان بمثله، وقد فرض القرآن الكريم إعجازه على كل من سمعه، مع تفاوت مراتبهم في البلاغة، وقد تحيّر المشركون العرب في وصفه بعد أن عجزوا عن معارضته، يقول الباقلاني رحمه الله: «الذي يدل على أنهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن أنه تحدّاهم حتى طال التحدّي، وجعله دلالة على صدقه وثبوته، وقد تضمّنت أحكامه استباحة دمائهم وأموالهم وسبي ذريتهم، فلو كانوا يقدرون على تكذيبه، لفعلوا وتوصلوا إلى تخليص أنفسهم وأهليهم وأموالهم من حكمه بأمر قريب هو عادتهم في لسانهم، ومألوف خطابهم، وكان ذلك يغنيهم عن تكلف

القتال، وإكثار المراء والجدال، وعن الجلاء عن الأوطان، وعن تسليم الأهل والذرية للسبي، فلما لم يحصل هناك معارضة منهم علم أنهم عاجزون عنها، وكان أمره صلى الله عليه وسلم يتزايد حالاً فحالاً، ويعلو شيئًا فشيئًا، وهم على العجز عن القدح في آياته والطعن في دلالته؛ علم مما بينا أنهم كانوا لا يقدرون على معارضته، ولا على توهين حجته». (إعجاز القرآن، ج١/٢٢).

إن القرآن الكريم عجز الجميع عن القيام لهذا التحدي، وهذه حقيقة لا يجادل فيها أحد، ولا ينكرها أحد من خصوم الإسلام، بل وأشدهم عداوة له، إذ كانت أكبر من أن تنكر، وقد حاول الكفار على مدار التاريخ أن يقعوا فيه على سقطة، أو يعثروا على عثرة، فلم يجدوا -وحاشاه-، وباؤوا بعد ذلك بالنكال والخسران.

وما يزال التحدي بالقرآن الكريم قائمًا، ولكن من يستطيع ومن الذي يقدر على المواجهة؟ إن القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته، وقد ثبت تاريخيًّا أنه أصدق وأدق كتاب حُفظ على وجه التاريخ كله، وقد تعهد ربنا سبحانه وتعالى بحفظه فقال: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (الحجر: ٩)، وقد تظاهرت جميع صور الحفظ عليه، من كتابه في المصحف، وحفظه في الصدور وتلاوة آياته ليلاً ونهارًا في الصلاة والتعبد به.

وإلى جانب معجزة القرآن الكريم، فقد أكرم الله نبيه الأمين بمعجزات كثيرة حسية؛ تأييدًا لرسالته، ودفعًا لمن شاهدها إلى التصديق بنبوته، وقد ذكر جمع من العلماء المعجزات الحسية بعد معجزة القرآن الكريم، وذلك لإبراز تأييد الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، وتكريمًا له، وإقامة الحجة على العباد، قال البيهقي رحمه الله بعد حديثه عن القرآن الكريم ودلالته على النبوة: "ثم إن لنبينا صلى الله عليه وسلم وراء القرآن من الآيات الباهرات والمعجزات ما لا يخفى وأكثر من أن يحصى".

ثم أشار إلى البشارات به، ثم قال: «ثم إن له وراء هذه الآيات والمعجزات: انشقاق القمر، وحنين الجذع، وخروج الماء من بين أصابعه حتى توضأ منه ناس كثيرة، وتسبيح الطعام، وإجابة الشجرة إياه حين دعاها، وتكليم الذراع المسمومة إياه، وشهادة الذئب والضب والرضيع له بالرسالة، وازدياد الطعام والماء بدعائه حتى أصاب منه ناس كثيرة، وما كان من صلبه الشاة التي لم يَنْزُ عليها الفحل ونزول اللبن منها، وما كان من إخباره عن الكوائن، فوجب تصديقه في زمانه وبعده، وغير ذلك مما قد ذكر مدوّن في الكتب، غير أن الله تعالى لما جمع له بين أمرين: أحدهما: بعثه إلى الجن والإنس عامة، والآخر: ختمه النبوة به، ظاهر له من الحجج، حتى إن شذت واحدة عن فريق بلغتهم أخرى، وإن لم تنجح واحدة نجحت أخرى، وإن درست على الأيام واحدة بقيت أخرى». (دلائل النبوة، ج١/١٨، ١٩).

وإلى جانب ذلك فقد خص الله نبينا صلى الله عليه وسلم بخصائص تدل على فضله ومكانته ورفيع درجته، وهذه الخصائص انفرد بها عن غيره من سائر البشر، ومن ذلك ما أخرجه الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس كافة». (البخاري (٣٣٥)، مسلم (٥٢١)).

قال ابن حجر رحمه الله في شرحه للحديث: «وظاهر الحديث يقتضي أن كل واحدة من الخمس المذكورات لم تكن لأحد قبله صلى الله عليه وسلم». (فتح الباري ج١/٤٣٦).

وليست هذه فحسب هي الخصائص التي تميز بها عن غيره صلوات الله وسلامه عليه؛ فاحمدوا الله يا أهل الإسلام على بعثة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم.

وللحديث صلة بإذن الله. والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الرُّوم

قال تعالى: « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦) فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩) »

(سورة الروم: ١٤- ٢٠).

د. عبدالعظيم بدوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مصير المؤمنين والكافرين:

« وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ »:

إذا قامت السَّاعَةُ جَمعَ اللهُ الأَوَّلينَ وَالآخرينَ، ثُمَّ قضى بَيْنَهُمْ بالحق، ثُمَّ أذن لَهُمْ في الانْصرَاف منْ أرْض المَحْشر إلى دَار الجزاء، « وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ » (الشورى: ١٠)

« فَأَمَّا الَّذينَ آمَنُوا » بقُلُوبهم، « وَعَملُوا الصَّالحَاتِ » بجَوارحهم، « فَهُمْ في رَوْضَة » منْ رياض الجَنَّة، فيها سائر أنْواع النَّبات، وَأصْناف المُشْتهيات. « يُحْبَرُونَ » وَالحُبُورُ هُوَ السُّرُورُ الشَّديدُ، يُقَالُ: حَبَّرَهُ، إذا سَرَّهُ سُرُورًا تَهَلَّلَ لَهُ وَجْهُهُ، وَظَهَرَ فيه أثَرُهُ. أيْ: يُسَرُّونَ وَيُنَعَّمُونَ بالمآكل اللَّذيذَة، وَالأشْربَة، وَالحور الحسَان، وَالخَدَم وَالولْدان، وَالأصْوَات المُطْربَات، وَالسَّماع المُشْجي، وَالمَنَاظر العَجيبَة، وَالرَّوائح الطَّيِّبَة، وَالفَرَح وَالسُّرُور، وَاللَّذة وَالحُبُور، ممَّا لا يَقْدرُ أحَدٌ أنْ يَصفَهُ. (تيسير الكريم الرحمن: ٦/١١٦).

« وَأَمَّا الَّذينَ كَفَرُوا » بالله، « وَكَذَّبُوا بآيَاتنَا » الَّتي أنْزَلْنَاهَا عَلى رُسُلنَا، « وَلقَاء الآخرَة » أيْ وَكَذَّبُوا بلقَاء الله، وَكَذَّبُوا بالسَّاعَة، « فَأُولئك في العَذاب مُحْضَرُونَ ١٦ » أيْ مُقيمُونَ فيه أبَدًا، « كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ » (السجدة: ٢٠)، قَالَ تَعَالَى عَنْ قَوْم إلْيَاسَ عليه السلام: « مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » (الصافات: ١٥٤) أيْ في العَذاب يَوْمَ القيَامَة، وَقَالَ تَعَالَى: « وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ » .(الصافات: ١٥٨)، وَحَكى الله تعالى عَنْ رَجُل منْ أهْل الجَنَّة كانَ لَهُ صَديقٌ مُلْحدٌ في الدُّنْيَا، « فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ » (الصافات: ٥٥- ٥٧)، يَقُولُ لصَديقه: لَقَدْ كدْتَ تَفْتنُني في ديني، وَلَوْلاَ أنَّ الله ثَبَّتَني « لَكُنت منَ المُحْضَرينَ ٥٧ » مَعَك في النَّارِ الآنَ.

وَهَذَا المُجْمَلُ فِي ذِكْرِ نعيم المُؤْمنينَ فِي الجنَّة، وَعذَابِ المُجْرمينَ فِي النَّار، قَدْ جَاءَ مُفَصَّلاً فِي سُورَةِ الزُّخْرُف، فَقَالَ تَعالى: « هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦) ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ (٦٧) يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ (٦٩) ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣) إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ » (الزخرف: ٦٦-٧٦).

« فَسُبْحَانَ اللَّه حينَ تُمْسُون وَحِينَ تُصْبِحُونَ ١٧ وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ١٨ يُخْرِجُ الحيَّ منَ الميِّت وَيُخْرِجُ الميِّتَ منَ الحيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ١٩ وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَكُم مِّنْ تُرَاب ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ٢٠ »:

الحثُّ على التَّسْبيح بحمد الله:

لَمَّا بَيَّنَ اللَّه تَعَالى أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَة فَرِيقَان: « فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ » (الشورى: ٧)، حَثَّ عِبَادَهُ عَلَى مَا يُدْخِلُهُمُ الجنَّة فَقَالَ: « فَسُبْحَانَ اللَّه حينَ تُمْسُون وَحينَ تُصْبِحُون ١٧ وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَاوَات وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ١٨ »، وَتَقْدِيرُ الكَلَام: إذَا عَلِمْتُمْ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَة يَتَفَرَّقُونَ: « فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ » (الشورى: ٧)، وَأَنَّ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجنَّةَ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحات، وَأَنَّ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بالآيَات، فَسَبِّحُوا بحَمْدِ اللَّه حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، فَإِنَّ التَّسْبِيحَ بِحَمْدِ اللَّه فِي الصَّلَاة وَخَارِجَهَا مِنَ الأَعْمَال الصَّالِحَات الَّتِي تُبَلِّغُكُمُ الجَنَّات، وَالأَحَادِيثُ فِي فَضْلِ التَّسْبِيح كَثِيرَة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قَالَ: « مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْده، فِي يَوْم مَائَةَ مَرَّة حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مثْل زَبَد البَحْر » (صحيح مسلم ٢٦٩١). وَعَنْ جَابِر رَضِي اللَّه عنه عَنِ النَّبيِّ صلى اللَّه عليه وسلم قَالَ: « مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّه العظيم وَبِحَمْده، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجنَّة » (صحيح الترمذي: ٣٤٦٤).

وَعَنْ أَبِي مَالك الأَشْعَرِيِّ رَضِي اللَّه عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: « الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَان، وَالحَمْدُ لله تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّه، وَالحَمْدُ لله تَمْلآن- أَوْ تَمْلأُ- مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاس يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا » (صحيح مسلم ٢٢٣).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: « لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّه، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إلاَّ اللَّه، وَاللَّه أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ ممَّا طَلَعَتْ عَلَيْه الشَّمْسُ » (صحيح مسلم ٢٦٩٥).

مواقيت الصَّلاة:

قَالَ ابْنُ عَبَّاس رضي اللَّه عنه: هَاتَانِ الآيَتَان تَضَمَّنَتَا مَوَاقيتَ الصَّلَوَات الخَمْس:

فَقَوْلُهُ تَعَالى: « حِينَ تُمْسُونَ » تَضَمَّنَ المغْرِب وَالعشَاء، « وَحِينَ تُصْبِحُونَ ١٧ » تَضَمَّنَ الفَجْر، « وَعَشِيًّا » العَصْر، « وَحِينَ تُظْهِرُونَ ١٨ » الظُّهْر. (جامع البيان: ٢١/٢٩).

اللَّه هُوَ الغَنيُّ الحَميد:

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: « وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَاوَات وَالأَرْضِ » جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ المَوَاقيت الَّتِي أَمَرَ اللَّه فيهَا عبَادَهُ بالتَّسْبيح بحَمْده، وَكَأَنَّهُ سُبْحَانَه بهَذه الجُمْلَة يَقُولُ للعبَاد: اعْلَمُوا أَنَّ لله الحَمْدَ فِي السَّمَوَات وَالأَرْض، « تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا » (الإسراء: ٤٤)

فإنْ سبّحتُموه فلكُمُ الأجرُ والثّوابُ، ونفعُ ذلك عائدٌ عليكُم، وإن استكبرتُم فهو غنيٌّ عنكُم، كما قال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ» (فصلت: ٣٧، ٣٨)، وقال تعالى: «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» (التغابن: ٥، ٦).

وقال بعضُ المفسّرين: لما أمرَ سُبحانه بالتسبيح ذكر أنَّ له الحمدَ في السموات والأرضِ، تعليما لعباده أن يقرنوا بين التسبيح والحمد، كما قال تعالى: «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» (النصر: ٣)، ولذلك كان النّبيُّ صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقولَ في رُكوعه وسُجوده: «سُبحانك اللهمّ ربّنا وبحمدك، اللّهمّ اغفرْ لي». يتأوّلُ القرآن. (صحيح البخاري ٨١٧).

٤- إخراج الحيّ من الميّت وإخراج الميّت من الحيّ:

ثُمّ ذكر الله تعالى دلائل التّوحيد، وهي نفسها دلائل إمكان البعث، فقال تعالى: «يُخرجُ الحيَّ من الميْت ومخرجُ الميْت من الحيّ» مثّل لها العلماءُ بالإنسان والنُّطفة، والبيْضة والفرخ، والحبّة والزرع، والوالد الكافر والولد المؤمن، والعكس. وذلك كلّه من دلائل قُدرة الخالق، التي تدُلّ على أنّه لا يعجز أبدا عن إعادة خلْقه، كما تدُلّ على استحقاقه للعبادة دُون غيْره ممّنْ ليس مثله، «والخيْل والبغال والحمير لتركبُوها وزينة ويخلقُ ما لا تعلمُون ٨» (النحل: ٨).

٥- إحياء الأرض بعد موتها:

ومنْ مظاهر القُدرة: «ويُحيي الأرْض بعد موتها»، فالأرْض قبْل حرْثها ميْتة، لا حياة فيها، فإذا حرثها الحارث، وسقاها، أحياها الله تعالى، فآتتْ أُكلها، كما قال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (النحل: ١٠، ١١)، وقال تعالى: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ» (عبس: ٢٤-٣٢).

قال العُلماءُ: أتى سُبحانه في الآية الكريمة بالفعل المضارع: «يُخرج الحيّ من الميّت ويُخرجُ الميّت من الحيّ ويُحيي الأرض بعْد موْتها»؛ لأنّ هذه الأفعال مُتجدّدة ومُتكرّرة في كل لحظة، ففي كُل لحظة يُولدُ مواليدُ جديدةٌ من النّاس والبهائم والنّبات، «إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ» (الأنعام: ٩٥).

فإحْياءُ الأرْض بعْد موْتها دليلٌ على قُدرة الرّب سُبحانه على إحْياء الموْتى بعْد موْتهمْ، ولذلك قال: «وكذلك تُخرجُون ١٩»، أي كما يُخرجُ الله النّبات من الأرْض بإذْنه يُخرجُكمْ أنْتُمْ منْها يوْم تقُومُ السّاعة. وقدْ تكرّر هذا التّشْبيهُ في مواضع من القُرآن: قال تعالى: «وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ» (ق: ٩-١١)، وقال تعالى: «وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ» (الزخرف: ١١). فالأمْرُ إذا سهْلٌ ويسيرٌ، كما قال تعالى: «مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» (لقمان: ٢٨)، وقال تعالى: «وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ» (ق: ٤١-٤٤).

وقدْ تكرّر الاسْتدْلال بإحْياء الأرْض على إحْياء الموْتى في مواضع:

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

شرح حديث "لا عدوى ولا صفر ولا هامة."

الحمد لله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه المستجمعين الشرفا.

وبعدُ: فإننا قد تفضل الله علينا- والله يؤتي فضله من يشاء – تفضل علينا في حلقة خلت عن الكلام عن تصحيح الاعتقاد وأنه بداية الخير والرشاد، ولا أبالغ إن أضفنا أن الخير مقصور عليه.

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق
نائب المشرف العام

الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى، ولا صفر، ولا هامة». فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فيجيء البعير الأجرب فيدخل بينها فيُجربُها كلها؟! قال: «فمن أعدى الأول؟».

التخريج:

رواه البخاري (٥٣١٦، ٥٧١٧)، وأخرجه مسلم، وزاد: «ولا نَوْءَ ولا غُولَ»، وفي صحيح سنن أبي داود رقم (٣٩١١).

مفردات الحديث مختصرة:

لا عدوى:

العدوى اسمٌ من الإعداء، وهو مجاوزة العلة من صاحبها إلى غيره، والمنفيّ ما كان يعتقده أهل الجاهلية أن العلة تسري بطبْعها لا بقدر الله.

ولا طيرة:

الطيرة هي: التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع والأشخاص، وقوله: (ولا) يحتمل أن تكون نافية أو ناهية والنفي أبلغ.

ولا هامة:

الهامة بتخفيف الميم: البُومة؛ كانوا يتشاءمون بها، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله.

ولا صفر:

قيل المراد به: حيةٌ تكون في البطن تصيب الماشية والناس، يزعمون أنها أشد عدوى من الجرب، فجاء الحديث بنفي هذا الزعم، وقيل المراد: شهر صفر كانوا يتشاءمون به، فجاء الحديث بإبطال ذلك.

ولا غُول:

الغُول جنسٌ من الجن والشياطين، يزعمون أنها تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فجاء الحديث بإبطال ذلك، وبيان أنها لا تستطيع أن تضل أحداً أو تهلكه.

لا نوء:

واحد الأنواء، والأنواء: هي منازل القمر، فالعرب كانوا يتشاءمون بالأنواء، ويتفاءلون بها.

ومما يستفاد من الحديث تأكيدًا لما سبق بيانه وإضافة عليه:

إبطال الطيرة.

إبطال اعتقاد الجاهلية أن الأمراض تُعدي بطبيعتها لا بتقدير الله تعالى.

إبطال التشاؤم بالهامة وشهر صفر.

إبطال اعتقاد تأثير الأنواء.

إبطال اعتقاد الجاهلية في الغيلان.

وجوب التوكل على الله والاعتماد عليه.

الحذر من اتخاذ الحديث ذريعة من بعض الغالين فينكرون بسببه السبب بالكلية، فجاء الحديث الآخر وحيًا من رب البرية على سيد البشرية ورسول الإنسانية مما يدل دَلالـة صريحة على مراعاة هذه الأسباب المادية وعدم جحودها.

وشرع الله كما يحرر العقول والقلوب من ظلمات الانحراف والفساد فإنه يدعو إلى نور العلم والاجتهاد : فلا تعارض بين الحديث وعلوم الطب؛ فقد أقر الشرع حدوث العدوى لكن كسبب يبطله ويجريه رب الأسباب.

هذا ولابن مفلح الحنبلي رحمه الله في الآداب الشرعية كلام نفيس لا يتسع المقام لنقله، لكنه يدور حول نفس المعاني، يراجع زيادة خير وفضل " الآداب الشرعية " (٣/٣٦٩، ٣٧٠).

ولمن لم يقرأ الحلقة السابقة فلا نُحرِمُ كلامًا عليه نور فهم السلف لابن القيم رحمه الله يقول: ذهب بعضهم إلى أن قوله " لا يورد ممرض على مصح" منسوخ بقوله "لا عدوى"، وهذا غير صحيح، وهو مما تقدم آنفاً أن المنهي عنه نوع غير المأذون فيه، فإن الذي نفاه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله "لا عدوى ولا صَفر" هو ما كان عليه أهل الإشراك من اعتقادهم ثبوت ذلك على قياس شركهم وقاعدة كفرهم، والذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من إيراد الممرض على المصح فيه تأويلان :

أحدهما: خشية توريط النفوس في نسبة ما عسى أن يقدره الله تعالى من ذلك إلى العدوى، وفيه التشويش على من يورد عليه وتعريضه لاعتقاد العدوى فلا تنافي بينهما بحال.

والتأويل الثاني: أن هذا إنما يدل على أن إيراد الممرض على المصح قد يكون سبباً يخلق الله تعالى به فيه المرض، فيكون إيراده سبباً، وقد يصرف الله سبحانه تأثيره بأسباب تضاده أو تمنعه قوة السببية، وهذا محض التوحيد بخلاف ما كان عليه أهل الشرك.

وهذا نظير نفيه سبحانه الشفاعة في يوم القيامة بقوله: «لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ» (البقرة: ٢٥٤)، فإنه لا تضاد الأحاديث المتواترة المصرحة بإثباتها، فإنه سبحانه إنما نفى الشفاعة التي كان أهل الشرك يثبتونها وهي شفاعة يتقدم فيها الشافع بين يدي المشفوع عنده وإن لم يُؤذَنْ له، وأما التي أثبتها الله ورسوله فهي الشفاعة التي تكون من بعد إذنه كقوله تعالى: «مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ» (البقرة: ٢٥٥)، وقوله : «وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ» (الأنبياء: ٢٨)، وقوله: «وَلا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» (سبأ: ٢٣). (ينظر: حاشية تهذيب سنن أبي داود " (١٠/٢٨٩ - ٢٩١).

فائدة أخرى:

ويضاف إلى ما سبق من فوائد أن هذا الحديث مع وضوح لفظه ومبناه لكنه من الأهمية بمكان في مغزاه ومعناه؛ إذ هو أصل من أصول الفهم والمنهج والسلوك.

فمن أصول الفهم: تعلمنا كيف تفهم السنة النبوية وتفسر الألفاظ الشرعية لا سيما ما ظاهره التعارض وأن إعمال النصوص أولى من إهمالها؛ فها نحن قد رأينا كيف جمع العلماء بين أحاديث ظاهرها التعارض كحديث الشهر (لا عدوى ولا طيرة.....)، مع حديث: (وفرّ من المجذوم فرارك من

الأسد...) وما في معناه، وكيف خرجوا لنا من ذلك بفهم مستقيم، وأبعدوا عن الناس كل تخبط سقيم - سبق بيانه فليراجع فضلاً- وهذا دأب العلماء الثقات والسلف الصالحين.

ومن أصول المنهج: أن من الأمانة والإيمان واستقامة المنهج وفهم الإنسان هو الاحتكام إلى قول الله: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (النساء: ٥٨، ٥٩).

والى قول الله تعالى : (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ومنه يستفاد أربعة أصول:

الأصل الأول: القرآن الكريم، والعمل به هو طاعة لله تعالى.

الأصل الثاني: سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والعمل به طاعة للرسول صلى الله عليه وسلم.

الأصل الثالث: إجماع أولي الأمر، وهم أهل الحل والعقد الذين تثق بهم الأمة...

الأصل الرابع: عرض المسائل المتنازع فيها على القواعد والأحكام العامة المعلومة في الكتاب والسنة، وذلك قوله: «فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» (النساء: ٥٩).

ثم من أصول المنهج والسلوك المبنية على هذا المنهج: أننا في مسائل الخلاف عندنا آداب نراعيها من أبينها وأظهرها أن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، والخلاف شر وأن التجرد لله يحتم استيعاب المخالف، وأن الاستيعاب ليس معناه الإقرار بالمخالفة والسكوت عنها، وأن الإنكار على المخالف يكون بمراعاة ضوابط النصح والإنكار وأنه ليس من الشرع أن يكون المغير للمنكر يتسبب فيما هو أنكر، وأن المخالفين درجات، وأن درجات المخالفة تشتمل كل ما خالف ما أراده الشارع الحكيم بدءًا من تحقيق التوحيد ومرورًا باجتناب الكبائر وانتهاءً باجتناب الصغائر، وأن درجات النصح تبدأ من الدعوة إلى التوحيد وتتدرج للأدنى كالدعوة للطاعات ثم إلى فضائل الأعمال وأولى العبادات، وهكذا مما ينبغي أن يُعلم وبه يُعمل من الفهم الذي يدل على منهج وسلوك مبني على هذا المنهج. والله المستعان.

وجدنا أسلافنا الصالحين ينثرون لنا من درر علمهم وصحيح فهمهم واعتقادهم ما صححوا به لغير الفاهم فهمه، وأنكروا على المخالف ما اعتقده، وأبطلوا على المغرض سعيه، ثم مع هذا كله تعاملوا مع كل بما يناسبه وحجمه وخطره أو ضرره فلم يميعوا قضية ولم يصنعوا ضجيجًا، ولم يحدثوا فتنة، ولم يتخلفوا عن واجب، وهكذا يكون سلوك أهل العلم من أسلافنا ومن تبعهم بإحسان من مشايخنا وإخواننا ثم أبنائنا.

وفي تطبيقهم للحديث علمونا أن الأمور تجري بمقادير يقدرها خالقها سبحانه وتعالى، وأن الأسباب والمسببات مخلوقة من الله يجريها ويبطلها بقدرته ومشيئته؛ فسبحان من جعل النار بردًا وسلامًا، وهذا فهم عام وأن العدوى كغيرها من الأسباب يجريها الله ويبطلها بمشيئته، وأن صدق العبودية يستلزم الأخذ بالسبب مع كمال التوكل على الله، ثم إنزال السبب منزلته؛ إذ إن جريانه وبطلانه بمشيئة الله وقدرته، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بُعث لإصلاح النفوس، وإبطال الخرافات، وتربية الأمة وهدايتها إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فلا مجال في ديننا لاستلاب العقول وحبس القلوب في قوالب مصنوعة محدودة وإنما جاء الإسلام لينقل الحيارى من عبادة العباد لعبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا لسعة الدنيا والآخرة، جاء ليحرر العقول من ذل العبودية والتبعية البشرية إلى شرف العبودية لخالق البشر.

وفي هذا القدر كفاية، وأستغفر الله لي ولكم.

مقالات في معاني القراءات

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فمع بعض معاني القراءات الواردة في بعض سور كتاب الله الكريم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

من سورة آل عمران

قوله تعالى: (يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ) (آل عمران: ١٣).

القـراءات: (يـرونـهـم) قـرأ نافع وأبـو جعفر ويعقوب بتاء الخطاب، والباقون بياء الغيبة.

المعنى: قـراءة (ترونهم) الخطاب للمؤمنين، وكذلك في قوله (قد كان لكم آية)، والتقدير: ترون أيها المؤمنون الكافرين مثلى أنفسهم في العدد، ومع ذلك نصرهم الله عليهم، وهذه حقيقة التأييد بالنصر؛ إذ قد وعدهم الله بالنصرة على ضعفهم في العدد فقال: (فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مئتين)، ولا يتعارض هذا مع التقليل الذي ورد في سورة الأنفال (وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا)؛ لأنهم كانوا في الحقيقة ثلاثة أمثال المسلمين.

وإذا كان الضمير في قوله (قد كان لكم آية) للكفار، فيكون المعنى أن الله قد أرى المشركين المؤمنين أضعاف أنفس المؤمنين أو أضعاف الكافرين على قلة المؤمنين ليهابوهم ويجبنوا عنهم، وكانت تلك الرؤية مددًا من الله للمؤمنين كما أمدهم بالملائكة، ويحمل قوله تعالى في سورة الأنفال (ويقللكم في أعينهم) على أنه قبل القتال ليجترؤوا على الملاقاة؛ فينفذ الله حكمه فيهم.

وقـراءة (يـرونـهـم) التفات من الخطاب إلى الغيبة، وتوجيهه إلى المسلمين (البحر المحيط لأبي حيان ٢/٦٣٤، شرح الجعبري ص١٣٠٨).

قوله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (آل عمران: ١٩).

الـقـراءات: قـرأ الكسائي بفتح همزة (إن)، والباقون بكسرها.

المعنى: على قـراءة الكسائي أنـه جعل الكلام متـصـلاً بمـا قـبـلـه، فـأبـدل أن ممـا قبلها، والتقدير: شهد الله أنَّ الدين عند الله الإسلام، والمعنى على قـراءة الكسر أنـه على الابتداء والاستئناف، وهـذا أبـلـغ في التأكيد والمـدح والثناء (الكشف لمكي بن أبي طالب ١/٣٨١).

قـولـه تـعـالـى: (وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ) (آل عمران: ٢١).

القراءات: قرأ حمزة (ويُقَاتلون) من المقاتلة فأخبر بالسبب الذي يكون منه القتل، أو المعنى أنهم يعادون ويشاقون من يأمرونهم بالقسط وإن لم يقتلوهم، وقرأ الباقون (ويَقتُلون) من القتل، عطفا على قوله (ويقتلون النبيين)، فقد أخبر عنهم بقتلهم للأنبياء، ومن تجرأ على قتل نبي فهو أجرأ على قتل من هو دون النبي من المؤمنين (الكشف ١/٣٨٢، الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣/٢٤)

قوله تعالى: (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) (آل عمران: ٣٦).

الـقـراءات: (وضعت) قـرأ ابـن عامر وشعبة

ويعقوب بإسكان العين وضم التاء (وَضَعْتُ)، فيكون من كلام أم مريم وفيه معنى التسليم والخضوع لله والتنزيه له أن يخفى عليه شيء، وقالت ذلك تسليًا لها واعتذارًا لله حيث أتت بمولود لا يصلح لما نذرته من سدانة بيت المقدس. والباقون بفتح العين وإسكان التاء (وَضَعَتْ)، والمعنى أن الله أعلم بما وضعت أم مريم قالته أو لم تقله وفيه تنبيه على عظم قدر هذا المولود وأن له شأنا لم تعرفيه ولم تعرفي إلا كونه أنثى. (الكشف ١/٣٨٤، لطائف الإشارات للقسطلاني ٣/٣٤٩).

قوله تعالى: (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) (آل عمران: ٣٧).

القراءات: قرأ الكوفيون بتشديد الفاء، والباقون بالتخفيف، وقرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف (زكريا) بالقصر من غير همز، والباقون بالمد مع الهمز ورفعه إلا شعبة فبالنصب، فيتحصل من ذلك ثلاث قراءات: (وكَفَلها زكريا)، (وكفَّلها زكرياءَ)، (وكفَلها زكرياءُ)؛ المعنى: (زكريا) و(زكرياء) لغتان للعرب مشهورتان، وقراءة (وكفَّلها) أضافت الفعل إلى الله عز وجل، فهو الذي ألزم زكريا كفالتها، وقدر ذلك عليه ويسره له، فيكون (زكريا) المفعول الثاني لـ(وكفَّلها) لأنه بالتشديد يتعدى إلى مفعولين، وقراءة التخفيف أسندت الفعل إلى زكريا فإنه قد كفلها بإرادة الله فالقراءتان متداخلتان (الكشف ١/٣٨٤).

قوله تعالى: (بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ) (آل عمران: ٧٩).

القراءات: قرأ ابن عامر والكوفيون (تُعَلِّمُون)، والباقون (تَعْلَمُون). المعنى: قراءة التخفيف (تَعْلَمُون) مناسبة لما بعدها من قوله (تدرسون) وعليه قول الحسن: كونوا علماء فقهاء، وأما قراءة التشديد (تُعَلِّمُون) فتدل على العلم والتعليم، لأن كل معلم عالم بما يعلم، وليس كل عالم بشيء معلما، فالتعليم أبلغ وأمدح وعليه قول الزجاج: كونوا معلمي الناس (شرح الجعبري ٣/١٣٤٤، الكشف ١/٣٩٣).

قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ) (آل عمران: ٨١).

القراءات: (لما) قرأ حمزة بكسر اللام، والباقون بفتحها، وقرأ نافع وأبو جعفر (آتيناكم) بالنون والألف على التعظيم، والباقون (آتيتكم) بتاء مضمومة مكان النون من غير ألف.

المعنى: (لما آتيتكم) اللام للجر وعلق اللام بالأخذ، لأن من أوتى الحكمة يؤخذ عليه الميثاق لما أوتوه من الحكمة لأنهم الخيار من الناس، والقراءة بفتح اللام على الابتداء (الكشف ١/٣٩٥).

قوله تعالى: (وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ) (آل عمران: ١١٥).

القراءات: قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف بياء الغيب في الفعلين على أن المقصود هم أهل الكتاب مراعاة لقوله (من أهل الكتاب أمة قائمة) وقرأ الباقون بتاء الخطاب على الرجوع إلى خطاب أمة محمد صلى الله عليه وسلم (لطائف الإشارات للقسطلاني ٣/٣٦٨).

قوله تعالى: (بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) (آل عمران: ١٢٥).

القراءات: (مسومين) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وعاصم بكسر الواو، والباقون بفتحها.

المعنى: معنى (مسوِّمين) أي معلمين من (السومة) وهى العلامة، أي بسيما القتال عليهم وعلى خيولهم، ومعنى (مسوَّمين): مرسلين على الكفار.

قوله تعالى: (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ) (آل عمران: ١٤٠). وقوله (مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ) (آل عمران: ١٧٢).

القراءات: (القرح) بضم القاف قراءة شعبة وحمزة والكسائي وخلف، وبالفتح قراءة الباقين المعنى: قال الفراء: كأن (القُرح) بالضم ألم الجراحات، وكأن (القَرح) الجراح بأعينها، وقال الكسائي: هما لغتان مثل (الضعف والضُعف) (حجة القراءات لابن زنجلة ص٥٦).

قوله تعالى: (مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ) (آل عمران: ١٤٦).

القراءات (نبي): قرأ نافع بالهمز والباقون بالتشديد، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (قُتل)، وقرأ الباقون (قاتل) وقد يُسند الفعل من القتل أو القتال إلى النبي وتكون جملة (معه ربيون) صفة أو يسند إلى الربيين وتكون جملة (قاتل معه ربيون) صفة للنبي (الكشف ١/٤٠١).

قوله تعالى: (ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ) (آل عمران: ١٥٤).

القراءات: (يغشى) قرأ حمزة والكسائي وخلف بالتاء، على تأنيث أمنة فهي المقصودة بالغشيان لهم، لأن الناعس لا يغشاه النعاس إلا ومعه أمنة، وقد تحدث الأمنة ولا نعاس معها، والباقون بالياء فأضاف الفعل إلى النعاس كما قال تعالى (إذ يغشيكم النعاس) (الكشف ١/ ٤٠٢).

قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (آل عمران: ١٥٦).

القراءات: (والله بما تعملون بصير) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف بالياء (يعملون) فيكون الضمير للكفار، وقرأ الباقون بالتاء (تعملون) فيكون الضمير للمؤمنين (الكشف ١/ ٤٠٣).

قوله تعالى: (لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) (آل عمران: ١٥٧).

القراءات: قرأ حفص بياء الغيبة (يجمعون) على معنى: لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمع غيركم ممن ترك القتال في سبيل الله لجمع الدنيا ولم يقاتل معكم، وقرأ الباقون بتاء الخطاب (تجمعون) على معنى: لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون من أعراض الدنيا لو بقيتم (الكشف ١/ ٤٠٤).

قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ) (آل عمران: ١٦١).

القراءات: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين (يَغُل)، والباقون بضم الياء وفتح الغين (يُغَل).

المعنى: على قراءة (يَغُل): ما كان لنبي أن يخون من معه في الغنيمة، وعلى قراءة (يُغَل) نفى عن أصحاب النبي أن يخونوه في الغنيمة، وفيه معنى النهي عن فعل ذلك، ودل على هذا المعنى قوله: (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) فدل على انه كان في القوم غلول، أو المعنى: ما كان لنبي أن ينسب إلى الغلول فيتحد مع القراءة الأولى (الكشف ١/ ٤٠٤).

قوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟) (آل عمران: ١٦٩) (ولا يحسبن الذين كفروا) (ولا يحسبن الذين يبخلون) (لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ)(فَلَا تَحْسَبَنَّهُم) (آل عمران: ١٨٨).

القراءات: اختلف القراء في الخطاب والغيب، وفي القراءة بالغيب (يحسبن) إسناد الفعل إلى الذين كفروا أو بخلوا، وفي قراءة الخطاب (تحسبن) إسناد الفعل إلى النبي صلى الله عليه وسلم (لمعرفة تفصيل اختلاف القراء يراجع كتاب البدور الزاهرة للشيخ عبد الفتاح القاضي ١/ ١٧٨، ١٨١، ١٨٤.

قوله تعالى: (حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ) (آل عمران: ١٧٩).

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب (يُمَيِّزَ) والباقون (يَميز). المعنى: قال أبو عمرو: لا يكون (يُمَيِّزَ) بالتشديد إلا كثيرا من كثير، فأما واحد من واحد ف(يَميز) على معنى يعزل (حجة القراءات لابن زنجلة ص٦٢).

قوله تعالى: (فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟) (آل عمران: ١٩٥).

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف بتقديم (وقُتلوا) المبنى للمفعول على (قاتَلوا) المبنى للفاعل، والباقون بالعكس، وقرأ ابن كثير وابن عامر بتشديد (وقتّلوا) والباقون بالتخفيف المعنى: على قراءة من قدم الفاعل على المفعول (و قاتلوا وقُتلوا) أن القتل لا يكون إلا بعد القتال، وأما القراءة بالعكس (وقُتلوا وقاتلوا) فإن الواو لا تقتضي الترتيب، ومعنى تقديم المفعول أن بعضهم قُتل، وقاتل الباقون ولم يهنوا ولم يرتاعوا بعد قتل أصحابهم، بل جدوا في القتال، وكان ذلك أبلغ في مدحهم، وهذا مثل قوله: (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا)، وقراءة التشديد (قُتّلوا) تفيد تكثير القتل فيهم (الكشف ١/ ٤١٣).

والحمد لله رب العالمين.

الشيطان اللعين يحارب المصلين

الشيخ صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وبعد: فإن من أهداف الشيطان الخبيثة الصد عن الصلاة: قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ) (المائدة: ٩١). الصد: البعد عن كل طاعة لله تعالى وعلى رأسها الصلاة.

بكاء الشيطان لسجود ابن آدم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: "إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: يَا وَيْلِي: أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ" (صحيح مسلم٨١).

يَا وَيْلِي: نِدَاءُ الوَيْلِ لِلتَّحَسُّرِ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنَ الكَرَامَةِ وَحُصُولِ اللَّعْنِ وَالخَيْبَةِ لِلْحَسَدِ عَلَى مَا حَصَلَ لِابْنِ آدَمَ، «أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ، فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ» أَيْ: امْتَنَعْتُ تَكَبُّرًا. مرقاة المفاتيح (٢/٧٢٢).

الشيطان يشكك في الصلاة ليمنع لذتها: يحارب الشيطان العدو المصلي بكل طريق حتى يُفسد عليه لذة الصلاة والخشوع فيها عن طريق:

١- التشكيك في الوضوء:

يَعمد الشيطان إلى إدخال الشكّ في وضوئه فيوسوس له بأنه انتقض وضوؤه، فيبقى في حيرة: أيقطع الصلاة ليتوضأ أم يمضي في صلاته؟ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللّه صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَوَجَدَ حَرَكَةً فِي دُبُرِهِ، أَحْدَثَ أَوْ لَمْ يُحْدِثْ، فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ فَلَا يَنْصَرِفْ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا، أَوْ يَجِدَ رِيحًا» رواه مسلم (٣٦١) وأبو داود (١٧٧).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: «إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ فِي بَطْنِهِ شَيْئًا، فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ أَخَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ أَمْ لَا، فَلَا يَخْرُجَنَّ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا، أَوْ يَجِدَ رِيحًا». صحيح مسلم (٣٦٢).

هَذَا الحَدِيثُ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الإِسْلَامِ وَقَاعِدَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الفِقْهِ، وَهِيَ أَنَّ الأَشْيَاءَ يُحْكَمُ بِبَقَائِهَا عَلَى أُصُولِهَا حَتَّى يُتَيَقَّنَ خِلَافُ ذَلِكَ، وَلَا يَضُرُّ الشَّكُّ الطَّارِئُ عَلَيْهَا، هَذَا مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ جَمَاهِيرِ العُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالخَلَفِ. شرح النووي (١٤/١٩٠)

٢- التشكيك والتخليط في القراءة:

عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ، أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّه إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللّه مِنْهُ، وَاتْفُلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا» صحيح مسلم (٢٢٠٣).

مَعْنَى يَلْبِسُهَا أَيْ: يَخْلِطُهَا وَيُشَكِّكُنِي فِيهَا، وَمَعْنَى حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا: أَيْ نَكَّدَنِي فِيهَا وَمَنَعَنِي لَذَّتَهَا وَالْفَرَاغَ لِلْخُشُوعِ فِيهَا. شرح النووي (١٤/١٩٠).

٣- التشكيك في عدد الركعات:

أ- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا، فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، فَإِنْ كَانَ صَلَّى خَمْسًا شَفَعْنَ لَهُ صَلَاتَهُ، وَإِنْ كَانَ صَلَّى إِتْمَامًا لِأَرْبَعٍ كَانَتَا تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ» صحيح مسلم (٣٧١).

ب- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِذَا سَهَا أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ وَاحِدَةً صَلَّى أَوْ ثِنْتَيْنِ فَلْيَبْنِ عَلَى وَاحِدَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَدْرِ ثِنْتَيْنِ صَلَّى أَوْ ثَلَاثًا فَلْيَبْنِ عَلَى ثِنْتَيْنِ، فَإِنْ لَمْ يَدْرِ ثَلَاثًا صَلَّى أَوْ أَرْبَعًا فَلْيَبْنِ عَلَى ثَلَاثٍ، وَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ» سنن الترمذي (٣٩٨)، وصحيح الجامع (٦٢٢).

ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَالْجُمْهُورُ إِلَى أَنَّهُ إِذَا شَكَّ هَلْ صَلَّى ثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا مَثَلًا لَزِمَهُ الْبِنَاءُ عَلَى الْيَقِينِ وَهُوَ الْأَقَلُّ فَيَأْتِي بِمَا بَقِيَ وَيَسْجُدُ لِلسَّهْوِ. شرح النووي (٥/٦٣).

"كَانَتَا تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ": أَيْ إِغَاظَةً لَهُ وَإِذْلَالًا مَأْخُوذٌ مِنَ الرَّغَامِ وَهُوَ التُّرَابُ وَمِنْهُ أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ وَالْمَعْنَى أَنَّ الشَّيْطَانَ لَبَّسَ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ وَتَعَرَّضَ لِإِفْسَادِهَا وَنَقْصِهَا فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُصَلِّي طَرِيقًا إِلَى جَبْرِ صَلَاتِهِ وَتَدَارُكِ مَا لَبَّسَهُ عَلَيْهِ وَإِرْغَامِ الشَّيْطَانِ وَرَدِّهِ خَاسِئًا مُبْعَدًا عَنْ مُرَادِهِ وَكَمُلَتْ صَلَاةُ بْنِ آدَمَ وَامْتَثَلَ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي عَصَى بِهِ إِبْلِيسُ مِنِ امْتِنَاعِهِ مِنَ السُّجُودِ. شرح النووي (٥/٦٠)

٤- الالتفات في الصلاة:

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الالْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ» البخاري (٧٥١).

عن الالتفات في الصلاة "أي سألته هل يضر الالتفات في الصلاة وهل له أثر سيئ على فاعله؟ "فقال: هو اختلاس يختلسه الشيطان"، أي هو اختطاف يختطفه الشيطان من صلاة الإنسان، فإذا التفت يميناً وشمالاً تمكن الشيطان من السيطرة عليه، ووجد منه ثغرة مفتوحة يدخل منها إلى نفسه، فيوسوس له حتى يشغله، فيسهو في صلاته، ويخطئ في قراءته، ويذهب بخضوعه، أو يضعفه فيقل أجره وثوابه. منار القاري (٢/١٦١).

٥- التَّثَاؤُبُ في الصَّلاة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «التَّثَاؤُبُ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ» سنن الترمذي (٣٧٠)، وصحيح الجامع (٣٠١٢). لِلشَّيْطَانِ غَرَضٌ قَوِيٌّ فِي التَّشْوِيشِ عَلَى الْمُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ يَنْبَغِي كَظْمُ التَّثَاؤُبِ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَإِنَّمَا خَصَّ الصَّلَاةَ لِأَنَّهَا أَوْلَى الْأَحْوَالِ بِدَفْعِهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ اعْتِدَالِ الْهَيْئَةِ وَاعْوِجَاجِ الْخِلْقَةِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ "فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ" فَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الدُّخُولُ حَقِيقَةً وَهُوَ وَإِنْ كَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ لَكِنَّهُ لَا يَتَمَكَّنُ مِنْهُ مَا دَامَ ذَاكِرًا اللَّهَ تَعَالَى وَالْمُتَثَائِبُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ غَيْرُ ذَاكِرٍ فَيَتَمَكَّنُ الشَّيْطَانُ مِنَ الدُّخُولِ فِيهِ حَقِيقَةً. فتح الباري (١٠/٦١٢).

٦- الدخول بين المصلين في صلاة الجماعة:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، وَحَاذُوا بَيْنَ مَنَاكِبِكُمْ، وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْحَذَفِ" مسند أحمد، صحيح الجامع (١٨٤٠). (سَوُّوا صُفُوفَكُمْ) أَيْ: بِالِاعْتِدَالِ وَعَدَمِ الِاخْتِلَالِ. (وَحَاذُوا بَيْنَ مَنَاكِبِكُمْ) أَيْ: بِالْوُقُوفِ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ (وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ): بِالِانْقِيَادِ وَالِانْضِمَامِ (وَسُدُّوا الْخَلَلَ) أَيْ: مِنَ الصُّفُوفِ، أَوْ مِمَّا بَيْنَهُنَّ، (فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ فِيمَا بَيْنَكُمْ) لِيُشَوِّشَ عَلَيْكُمْ فِي صَلَاتِكُمْ بِالْإِغْوَاءِ وَالْإِشْغَالِ (بِمَنْزِلَةِ الْحَذَفِ) أَيْ: فِي

صُورتَها (يَعْنِي: أَوْلَادَ الضَّأْنِ الصِّغَارِ). مرقاة المفاتيح (٣/ ٨٥٤).

للتخلص من مكائد ووساوس الشيطان في الصلاة:

قال تعالى: « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (فاطر: ٦)؛ «الشَّيْطَانُ» الذي هو عدوكم في الحقيقة «فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا» أي: لتكن منكم عداوته على بال، ولا تهملوا محاربته كل وقت، فإنه يراكم وأنتم لا ترونه، وهو دائمًا لكم بالمرصاد. تفسير السعدي (١/ ٦٨٤).

١- الاستعاذة قبل القراءة:

وهي واجبة (على الأرجح): لقوله تعالى: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (النحل: ٩٨). ففي الآية أمر بالاستعاذة عند إرادة القراءة وحقيقة الأمر الوجوب. ولأن الاستعاذة تدرأ شر الشيطان، هل يستعيذ في كل ركعة؟ قال الأكثرون: يجزئه أن يستعيذ في أول ركعة فقط، واستحب الشافعي الاستعاذة في كل ركعة، وأوجبه ابن سيرين. صحيح فقه السنة (١/ ٣٣١).

٢- النظر إلى موضع السجود:

أ- (كان صلى الله عليه وسلم إذا صلى طأطأ رأسه ورمى ببصره نحو الأرض) (صفة الصلاة صـ٨٩).

ب- عَنْ عَائِشَةَ (عندما دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْكَعْبَةَ مَا خَلَفَ بَصَرُهُ مَوْضِعَ سُجُودِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا) (مستدرك الحاكم ١٧٦١، صفة الصلاة للألباني صـ٨٩). والسبب حتى لا يلتفت المصلى ويقطع طريق الشيطان.

٣- كظم التثاؤب:

قَوْلُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ التَّثَاؤُبَ مِنَ الشَّيْطَانِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي حَالِ الْعِبَادَةِ مِنَ الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا مِنْ تِلَاوَةٍ أَوْ ذِكْرٍ أَوْ دُعَاءٍ، لَا فِي مُطْلَقِ الْحَالَاتِ "فَإِذَا تَثَاءَبَ" أَيْ: شَرَعَ فِي التَّثَاؤُبِ" أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظِمْ" أَيْ: يَدْفَعْهُ" مَا اسْتَطَاعَ "أَيْ: بِضَمِّ الشَّفَتَيْنِ، أَوْ بِوَضْعِ الْيَدِ أَوِ الْكُمِّ عَلَى الْفَمِ، وَلْيَضَعْ " يَدَهُ ": الظَّاهِرُ الْيُمْنَى (عَلَى فِيهِ)، أَيْ: بَدَلَ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ. مرقاة المفاتيح (٢/ ٧٨٧).

٤- صلاة الجماعة:

عن أبي الدَّرداء: قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ: فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ» قَالَ السَّائِبُ: يَعْنِي بِالْجَمَاعَةِ: الْجَمَاعَةَ فِي الصَّلَاةِ. سنن أبي داود (٥٤٧)، وصحيح الجامع (٥٧٠١).

٥- الطمأنينة والتأني في الصلاة والقراءة وعدم التعجل:

أ- عن أنس قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم التَّأَنِّي من الله والعَجَلَةُ من الشَّيْطَانِ. صحيح الجامع (٣٠١١). مدخل الشيطان إلى الإنسان أغلقه بالتأني والهدوء.

ب- أمر صلى الله عليه وسلم المسيء صلاته بالتأني والطمأنينة: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا» صحيح البخاري (٧٥٧) صحيح مسلم (٣٩٧).

٦- إذا شكك الشيطان في عدد ركعات الصلاة:

إذا شَكَّ هَلْ صَلَّى ثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا مَثَلًا لَزِمَهُ الْبِنَاءُ عَلَى الْيَقِينِ وَهُوَ الْأَقَلُّ فيأتي ويجعلها ثَلَاثًا وَيَسْجُدُ سجدتين لِلسَّهْوِ إغاظة للشيطان وإذلالًا له. وتكميلًا للصلاة.

٧- التسلح بالاستعاذة:

إذا هجم عليك الشيطان في صلاتك وألقى عليك شباكه ليخرجك من الصلاة وذكرك بأمور كثيرة تفعلها بعد الصلاة أو موضوعات نسيتها فاقطع عليه ذلك. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ، وَاتْفُلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا».

٨- الدعاء: قال تعالى: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ)(إبراهيم: ٤٠).

أي: يا ربّ اجعلني ممن يحافظ على الصلاة في أوقاتها وأركانها وشروطها، وكل ما يؤدي إلى القيام بكمالها وقبولها.

والحمد لله رب العالمين.

ثمرات مجالسة الصالحين

إعداد الشيخ/صلاح نجيب الدق

الحمدُ لله الذي خلقَ كُلَّ شيءٍ فقدره تقديراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي بعثه الله هاديا ومبشرا نذيرا، وداعيا إلى الله تعالى بإذنه وسراجا منيرا وبعد: فإن مجالسة الصالحين لها ثمراتٌ مباركةٌ، تعود على صاحبها في الدنيا والآخرة، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

(١) مجالس الصالحين، تحفها الملائكة، وتجلب البركة لكل من فيها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: إِنَّ للَّه مَلَائكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُق يَلْتَمسُونَ أَهْلَ الذِّكْر فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتكُمْ قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنحَتهمْ إِلَى السَّمَاء الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ منْهُمْ؟ مَا يَقُولُ عبَادي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْني؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّه مَا رَأَوْكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْني؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجيدًا وَتَحْميدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبيحًا. قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُوني؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّه يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَممَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: منْ النَّار. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّه يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ؟ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ منْهَا فرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ منْ الْمَلَائكَة: فيهمْ فُلَانٌ لَيْسَ منْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لحَاجَةٍ. قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بهمْ جَليسُهُمْ. (البخاري حديث ٦٤٠٨، ومسلم حديث ٢٦٨٩).

قال النووي: في هذا الحديث فضيلة الذكر وفضيلة مجالسه والجلوس مع أهله وان لم يشاركهم وفضل مجالسة الصالحين وبركتهم. (مسلم بشرح النووي ج٩ ص١٩).

(٢) مجالسة الصالحين تقرب صاحبها من طاعة الله، وتبعده عن المعصية

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ (يعطيك) وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً. (البخاري حديث ٥٥٣٤، ومسلم حديث ٢٦٢٨).

قال النووي (رحمه الله) في هذا الحديث فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب

الناس أو يكثر فجره وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة. (مسلم بشرح النووي ج٨ ص٤٢٧).

(٣) الجليس الصالح العالم ينفع صاحبه بعلمه في الدنيا والآخرة

يستطيع من يجالس المسلم الصالح العالم أن يستفيد منه علماً وأدباً، فينتفع بذلك في الدنيا والآخرة. عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: آخَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: صَدَقَ سَلْمَانُ.. (البخاري حديث ١٩٦٨).

في هذا الحديث تعلَّم أبو الدَّرْدَاء من سلمان الاقتصاد في أمور الدين والدنيا.

قال أحيد بن حفص: دخلت على إسماعيل، والد البخاري، عند موته فقال: لا أعلم من مالي درهمًا من حرام ولا درهمًا من شبهة. وترك للبخاري مالاً كثيراً. (مقدمة فتح الباري لابن حجر العسقلاني ص٥٠٣)، وهذا من بركات مجالسة العلماء الصالحين.

(٤) الجليس الصالح خير أنيس لصاحبه في السراء والضراء

أهل الصلاح والخير هم الذين يَستأنسُ بوجودهم المسلمُ في الرخاء، وهم أيضاً خيرُ معين له في الضراء، فهم يخففون عنه همومه، ويسترشد بآرائهم في حل مشاكله.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عَلَيْكَ بإخوان الصدق فعش في أكنافهم فإنَّهُمْ زِينَةٌ في الرَّخاءِ وعُدَّةٌ في البلاء. (روضة العقلاء- لابن حبان- ص٩٠).

قال شعبة بن الحجاج: خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ على أصحابه فقال أَنْتُمْ جِلاءُ حُزْنِي. (روضة العقلاء- لابن حبان- ص٩٢).

(٥) محبة مجالسة الصالحين سبيل الجنة

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: لاَ شَيْءَ إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم. فَقَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ. قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ. (البخاري حديث ٣٦٨٨).

(٦) زيارة الصالحين سبب محبة الله لعباده

روى مسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ (أقعد) اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ (الطريق) مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا (أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك) ؟قَالَ: لاَ غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ. (مسلم حديث ٢٥٦٧).

قال الإمام النووي رحمه الله في هذا الحديث فضل المحبة في الله تعالى، وأنها سبب لمحبة الله تعالى للعبد، وفيه فضيلة زيارة الصالحين والأصحاب. (مسلم بشرح النووي ج٨ ص٣٦٧).

(٧) الجليس الصالح يدعو لصاحبه ويستغفر له

من بركات مجالسة الصالحين الانتفاع بدعائهم. عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ. (مسلم حديث ٢٧٣٣).

قال النووي (رحمه الله) في هذا الحديث فضل دعاء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضاً، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة؛ لأنها تُستجابُ، ويحصل له مثلها. (مسلم بشرح النووي ج٩ صـ ٥٩).

(٨) الجليس الصالح يساعد صاحبه على المحافظة على وقت فراغه

رأس مال العبد المسلم في هذه الدنيا وقتٌ قصيرٌ وأنفاسٌ محدودةٌ وأيامٌ معدودةٌ، فمن استثمر تلك اللحظات والساعات في أعمال الخير فطوبى له، ومن أضاعها وفرَّط فيها فقد خسر خسرانًا مبيناً،

والجليس الصالح هو خير مُعين لصاحبه للاستفادة من هذا الوقت، بما يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة. والله تعالى سوف يسأل المسلم عن هذا الوقت يوم القيامة.

عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ. (صحيح الترمذي للألباني حديث ١٩٧٠).

(٩) الجليس الصالح دائما يذكر صاحبه بالله تعالى

الصالحون معتادون على ذكر الله في السراء والضراء، ولذا فإن مجرد رؤيتهم تذكرك بالله تعالى.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم في الغَارِ (أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة): فَرَأَيْتُ آثَارَ المُشْرِكِينَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا قَالَ: مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا. (البخاري حديث ٣٦٥٣، ومسلم حديث ٢٣٨١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّانًا فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ قَالَ سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ. فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم: (خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ) وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ. (البخاري حديث ٤٦٤٢).

(١٠) الجليس الصالح يحفظ صاحبه في حضرته وغيبته

الجليس الصالح يدافع عن صاحبه في السر والعلانية، ويصون عرضه، ويبعد عنه الشبهات، ويتحمل الأذى من أجله. أَسَرَ المشركون زَيْدَ بْنَ الدَّثِنَةِ في غزوة ذات الرجيع، ولما أرادوا قتله قال لَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ يَا زَيْدُ أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الآنَ في مَكَانِكَ نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنَّكَ في أَهْلِكَ؟ قَالَ وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا الآنَ في مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنِّي جَالِسٌ في أَهْلِي. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا. (سيرة ابن هشام جـ٣صـ١٤١: ١٤٠)

(١١) الجليس الصالح يحث صاحبه على أعمال الخير

الجليس الصالح يذكر صاحبه، دائماً، ببر الوالدين، والإحسان إلى الفقراء، والأيتام، ويحثه على حُسن معاملة الجيران، وإكرام الضيف. كان نبينا صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على أعمال الخير.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الصَّلاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا. قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الجِهَادُ في سَبِيلِ اللَّهِ. فَسَكَتُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي. (البخاري حديث ٥٢٧، ومسلم حديث ٨٥).

(١٢) الجليس الصالح يحزن لفراق صاحبه ويشتاق للقائه

من ثمرات مجالسة الصالحين، أن الجليس الصالح قد أحب صاحبه ابتغاء وجه الله، وليس من أجل شيء من متاع الدنيا الزائل، ولذا كان من الطبيعي أن يحزن لفراق صاحبه ويشتاق للقائه. لقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم، يتفقد أحوال أصحابه، فيسأل عن من غاب منهم، ويعود مرضاهم، ويحزن على موتاهم.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ شَكْوَى لَهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ في غَاشِيَةِ أَهْلِهِ فَقَالَ: قَدْ قَضَى؟ (أي مات) قَالُوا: لا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَبَكَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا رَأَى القَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بَكَوْا فَقَالَ أَلا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ وَلا بِحُزْنِ القَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ وَإِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ. (البخاري حديث ١٣٠٤، مسلم حديث ٩٢٤)

(١٣) مجالسة الصالحين حصن لأصحابها من شياطين الجن والإنس

مجالسة الصالحين وقاية للإنسان من الوقوع فريسة لشياطين الجن والإنس، الذين يدفعونه إلى طريق المعاصي، كالغيبة والنميمة، فيندم الإنسان حين لا ينفع الندم، ويبكي لحين لا ينفع البكاء. قال الله تعالى: (وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ. وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ. أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) (الزمر٥٦- ٥٤).

(١٤) مجالسة الصالحين تحث أصحابها على التنافس في أعمال الخير

عن عُمر بْن الخطاب قال: "أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالاً فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا قال: فجئت بنصف مالي، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك قلت مثله وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك. قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: والله لا أسبقه إلى شيء أبدا" (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٠٢).

(١٥) مجالسة الصالحين ضمان لاستمرار الصحبة في الدنيا والآخرة

قال الله تعالى: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ. يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) (الزخرف٦٨: ٦٧)؛ قال الإمام ابن كثير(رحمه الله) قوله تعالى: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) أي: كل صداقة وصحبة لغير الله، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله، عز وجل، فإنه دائم بدوامه. وهذا كما قال إبراهيم، عليه السلام، لقومه: (إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (العنكبوت: ٢٥). (تفسير ابن كثير جـ١٢صـ٣٢٤).

عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، في قوله تعالى: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) قال: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، توفي أحد المؤمنين فبشر بالجنة فذكر خليله فقال: اللهم إن خليلي فلانا كان يأمرني بطاعتك، وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، وينبئني أني ملاقيك، فلا تضله بعدي، حتى تريه مثل ما أريتني وترضى عنه كما رضيت عني، فيقال له: اذهب فلو تعلم ما لك عندي لضحكت كثيرا وبكيت قليلا، قال: ثم يموت الآخر فيجمع بين أرواحهما فيقال: ليثن أحدكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه: نعم الأخ ونعم الصاحب، ونعم الخليل، وإذا مات أحد الكافرين فبشر بالنار، فتذكر خليله فيقول: اللهم إن خليلي فلانا كان يأمرني بمعصيتك، ومعصية رسولك، ويأمرني بالشر، وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير لاقيك، اللهم فلا تهده بعدي حتى تريه مثل ما أريتني، وتسخط عليه كما سخطت علي، قال: ويموت الكافر فيجمع بين أرواحهما ثم يقول ليثن كل واحد منكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه بئس الأخ وبئس الصاحب وبئس الخليل" (تفسير عبد الرزاق جـ٣ ص١٧٤) (تفسير ابن أبي حاتم ج١٠صـ ٣٢٨٥) (تفسير الطبري ج٢٣صـ٧٠٩).

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عزاء واجب

توفيت يوم الأحد ١٦ محرم ١٤٤٤ للهجرة - ١٤ أغسطس ٢٠٢٢ للميلاد: المربية الفاضلة: ضحى حسين عيسوي همام، زوج العالم الجليل حسين محمد محمد شرف - رحمه الله تعالى -، ووالدة الدكتور: محمد حسين محمد شرف حفظه الله تعالى.

وأسرة تحرير المجلة، وأعضاء مجلس إدارة المركز العام يتقدمون بواجب العزاء للدكتور: محمد شرف والأسرة الكريمة سائلين لهم الأجر والسلوان،

اللهم اغفر لها وارحمها وعافها واعف عنها، وأكرم نزلها، ووسع مدخلها، واغسل ذنوبها بالماء والثلج والبرد، ونقها من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدلها دارًا خيرًا من دارها، وأهلاً خيرًا من أهلها، وأدخلها الجنة وأعذها من عذاب النار.

باب السيرة الحلقة 10

غزوة بدر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فقد ذكرنا قبل ذلك مقتل أبي جهل ثم أمية بن خلف، وقد لقي مثل هذا المصير الفاجع سبعون صنديدًا من رؤوس الكفر بمكة، دارت عليهم كؤوس الردى فتجرَّعوها صاغرين، وسقط في الأسر سبعون كذلك، وفرَّ بقية التسعمئة والخمسين يروون لمن خلفهم أنَّ الظلم مرتعه وخيم، وأن البطر يجر في أعقابه الخزي والعار... وفتح المسلمون عيونهم على بشاشة الفوز تضحك لهم خلال الأرض والسماء؛ ولا شك أنَّ هذا الظفر رد عليهم الحياة والأمل والكرامة، وخلَّصهم من أغلال ثقال: "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (آل عمران: ١٢٣).

إعداد د/ سيد عبد العال

وهكذا انتهت المعركة بنصر مبين للمؤمنين، يقابله هزيمة ساحقة للمشركين؛ فماذا صنع النبي صلى الله عليه وسلم بقتلى المشركين؟

أما قتلى المشركين؛ فطرحوا في القليب،- أي بئر- وقد ثبت بذلك أحاديث؛ منها حديث عَائشة رضي الله عنها قالت: أَمَرَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ بِقَتْلَى بَدْرٍ فَسُحِبُوا إِلَى القَلِيبِ؛ فَطُرِحُوا فِيه ثُمَّ وَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: يَا أَهْلَ القَلِيبِ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا" فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه تُكَلِّمُ قَوْمًا قَدْ مَاتُوا؟، فَقَالَ: "لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدْتُهُمْ كَانَ حَقًّا". فَأَمَّا أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ لَمَّا رَأَى أَبَاهُ يُسْحَبُ إِلَى القَلِيبِ عَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ الكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِه فَقَالَ: يَا أَبَا حُذَيْفَةَ كَأَنَّكَ كَرِهْتَ مَا تَرَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّهُ وَاللَّه مَا كَانَ بِشَكٍّ فِي اللَّه وَلاَ رَسُولِه، وَلَكِنْ أَبِي كَانَ رَجُلاً سَيِّدًا حَلِيمًا ذَا رَأْيٍ فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُ رَأْيُهُ إِلَى الإِسْلَامِ، فَلَمَّا فَاتَ ذَلِكَ مِنْهُ وَوَقَعَ فِيمَا وَقَعَ فِيه أَحْزَنَنِي ذَلِكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ لأَبِي حُذَيْفَةَ بِخَيْرٍ... صحيح؛ أخرجه إسحاق بن راهويه (١١٤٨)، وصحيح ابن حبان (٧٠٨٨).

ورواه أحمد في مسنده (٢٦٣٦١) وفيه "أن أُمَيَّةَ بْنِ خَلَف، انْتَفَخَ فِي دِرْعِه؛ فَمَلَأَهَا؛ فَذَهَبُوا لِيُحَرِّكُوهُ؛ فَتَزَايَلَ؛ فَأَقَرُّوهُ وَأَلْقَوْا عَلَيْه مَا غَيَّبَهُ مِنَ التُّرَابِ وَالحِجَارَةِ... الحديث" وهو صحيح... وفي حديث ابن مسعود "فَرَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، فَأُلْقُوا فِي بِئْرٍ، غَيْرَ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ أَوْ أُبَيٍّ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ، فَلَمْ يُلْقَ فِي البِئْرِ" صحيح البخاري (٣٨٥٤).

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا هُزِمَ المُشْرِكُونَ جَاءَ رَسُولُ اللَّه صَلى الله عَلَيه وسَلم، فَقَامَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ فَسُحِبَ فَأُلْقِيَ فِي القَلِيبِ، ثُمَّ أَمَرَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ فَسُحِبَ فَأُلْقِيَ فِي القَلِيبِ، ثُمَّ أَمَرَ بِشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ فَسُحِبَ فَأُلْقِيَ فِي القَلِيبِ، ثُمَّ أَمَرَ بِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ فَسُحِبَ فَأُلْقِيَ فِي القَلِيبِ وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ

عُتْبَةَ قائمٌ إلى جَنْبِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَفْطِنْ لَهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، فلمَّا نَظَرَ إلى أبيه يُسْحَبُ حَتَّى أُلْقِيَ فِي القَلِيبِ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَالتَفَتَ إِلَيْه النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فلما رَآهُ قَدْ تغيَّر وَجْهُهُ، قَالَ: يا أبا حُذَيْفَةَ كأنَّهُ سَاءَكَ مَا صَنَعْنَا بِعُتْبَةَ قال: يا رَسُولَ الله، مالي أنْ لا أكُونَ مُؤمِنًا بالله وبِرَسُوله؟ وَلكنْ لَمْ يَكُنْ فِي القَوْمِ أَحَدٌ يُشْبِهُ عُتْبَةَ فِي عَقْله وَفِي شَرَفِه، فَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الإِسْلامِ، فلَمَّا رَأَيْتُ مَصْرَعَهُ سَاءَنِي ذَلكَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلى الله عليه وسلم خَيْرًا، فَلَمَّا كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَرَجَ النَّبيُّ صَلى الله عَليه وسلم، فَسَمِعَهُ النَّاسُ وَهُوَ يُنَادي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ: يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَيَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَيَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَيَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَف؛ أَوَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟، فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا قالَ: فَنَادَاهُ النَّاسُ: يَا رَسُولَ الله، أَتُنَادي قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا قالَ: وَالله مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا. المنتخب من مسند عبد بن حميد (١٢١٢) وهو حسن لغيره، وأصل القصة في صحيح مسلم (٢٨٧٤) دون ذكر موقف أبي حذيفة بن عتبة.

وعن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ القَلِيبِ، فَقَالَ: «وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟»، فَقِيلَ لَهُ: تَدْعُو أَمْوَاتًا؟ فَقَالَ: "مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لا يُجِيبُونَ" صحيح البخاري (١٣٧٠).

قَالَ ابنُ تيمية: وَأَهْلُ العِلْمِ بِالحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ: اتَّفَقُوا عَلَى صِحَّةِ مَا رَوَاهُ أَنَسٌ وَابْنُ عُمَرَ وَإِنْ كَانَا لَمْ يَشْهَدَا بَدْرًا. مجموع الفتاوى (٤/٢٩٧).

وعن أنس عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ نَبِيَّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلاً مِنْ صَنَادِيد قُرَيْشٍ فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالعَرْصَةِ ثَلاثَ لَيَالٍ فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ اليَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِه فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلاَّ لِبَعْضِ حَاجَتِه حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ "شَفِيرِ الرَّكِيِّ" فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ يَا فُلانُ بْنَ فُلانٍ وَيَا فُلانُ بْنَ فُلانٍ أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لا أَرْوَاحَ فِيهَا فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ... قَالَ قَتَادَةُ أَحْيَاهُمُ اللهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا. صحيح البخاري (٣٩٧٦).

من فوائد هذا الأحاديث:

- منقبة لأبي حذيفة بن عتبة ربيعة رضي الله عنه.

- قوله: "القليب" البئر تُحفر فيُقلب تُرابها قبل أن تُطوى. أعلام الحديث (٣/١٦٢٦).

- وقوله: "الصناديد": العظماء. يقال: رجل صنديد. وكان الحسن يقول في دعائه: اللهم إنا نعوذ بك من صناديد القدر، يريد ما يأتي به القدر من البلايا العظام.

- والطوى: البئر المطوية، وهي التي قد ضرست بالحجارة لئلا تنهار، والأطواء: جمع الطوي. أعلام الحديث (٣/١٧٠٧).

"المخبث": ذو الخبث... ولا ينافيه ما روي: "فألقوا في قليب"؛ لأن أبا عبيد فسر القليب بالبئر العادية، وهي أعم من أن تكون مطوية أو غيرها، مع احتمال أن يكون هؤلاء غيرهم، فإن المسلمين قتلوا يومئذ سبعين منهم، فقذف بعضهم في الطوي، وبعضهم في القليب.

ويؤيده قوله: "حتى قام على شفة الركي" وهو جمع: ركية، وهي البئر. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٣/٣٢).

- قال النووي: وهذا السحب إلى القليب ليس دفنًا لهم ولا صيانة وحرمة بل لدفع رائحتهم المؤذية والله أعلم. شرح النووي على مسلم (١٧/٢٠٧).

- ومنها إثبات عذاب القبر.. مجموع الفتاوى (٤/٢٩٨).

- ومنها مسألة سماع الميت؛ قال ابن تيمية: الميت يسمع في الجملة...وذكر هذا الحديث وغيره ثم قال: فَهَذِه النُّصُوصُ وَأَمْثَالُهَا تُبَيِّنُ أَنَّ المَيْتَ يَسْمَعُ فِي الجُمْلَةِ كَلامَ الحَيِّ وَلا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ

السَّمْعُ لَهُ دَائمًا، بَلْ قَدْ يَسْمَعُ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ كَمَا قَدْ يَعْرِضُ لِلْحَيِّ فَإِنَّهُ قَدْ يَسْمَعُ أَحْيَانًا خِطَابَ مَنْ يُخَاطِبُهُ، وَقَدْ لاَ يَسْمَعُ لِعَارِضٍ يَعْرِضُ لَهُ، وَهَذَا السَّمْعُ سَمْعُ إِدْرَاكٍ، لَيْسَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ جَزَاءٌ، وَلاَ هُوَ السَّمْعُ الْمَنْفِيُّ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ (النمل: ٨٠)؛ فَإِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ سَمْعُ الْقُبُولِ وَالامْتِثَالِ... فَالْمَيِّتُ وَإِنْ سَمِعَ الْكَلاَمَ وَفَقِهَ الْمَعْنَى فَإِنَّهُ لاَ يُمْكِنُهُ إِجَابَةُ الدَّاعِي، وَلاَ امْتِثَالُ مَا أُمِرَ بِهِ، وَنُهِيَ عَنْهُ، فَلاَ يَنْتَفِعُ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ. الفتاوى الكبرى (٣/٦٢).

مَكَّةُ تَتَلَقَّى أَنْبَاءَ الْهَزِيمَةِ:

قال ابن إسحاق: وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ مَكَّةَ بِمُصَابِ قُرَيْشٍ الْحَيْسُمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخُزَاعِيُّ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ؟ قَالَ: قُتِلَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو الْحَكَمِ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَزَمْعَةُ بْنُ الأَسْوَدِ، وَنُبَيْهٌ وَمُنَبِّهٌ ابْنَا الْحَجَّاجِ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ، فَلَمَّا أَخَذَ يُعَدِّدُ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ، قَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَهُوَ قَاعِدٌ فِي الْحِجْرِ: وَاللَّهِ إِنْ يَعْقِلْ هَذَا، فَاسْأَلُوهُ عَنِّي، فَقَالُوا: وَمَا فَعَلَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ؟ قَالَ: هَا هُوَ ذَاكَ جَالِسًا فِي الْحِجْرِ، وَقَدْ وَاللَّهِ رَأَيْتُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ حِينَ قُتِلا. ابن هشام (٢/٢٨٩).

وعن أبي رَافِعٍ: مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا أَبَا لَهَبٍ عَدُوُّ اللهِ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ، وَبَعَثَ مَكَانَهُ الْعَاصَ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَلَمَّا جَاءَنَا الْخَبَرُ كَبَتَهُ اللهُ وَأَخْزَاهُ،.... فَوَاللهِ مَا عَاشَ إِلاَّ سَبْعَ لَيَالٍ حَتَّى رَمَاهُ اللَّهُ بِالْعَدَسَةِ؛ فَقَتَلَتْهُ. (وهي قرحة قاتلة) فَلَقَدْ تَرَكَهُ ابْنَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ثَلاَثًا مَا دَفَنَاهُ حَتَّى أَنْتَنَ؛ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَتَّقِي هَذِهِ الْعَدَسَةَ كَمَا تَتَّقِي الطَّاعُونَ؛ فتركاه حتى أعانهم عليه رجل من قريش. ضعيف: مسند أحمد (٢٣٨٦٤)، وابن هشام (٦٤٧).

أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد ارْتَحَلَ مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا، قَرِيرَ الْعَيْنِ بِنَصْرِ اللَّهِ لَهُ، وَمَعَهُ الأَسَارَى وَالْمَغَانِمُ، فَلَمَّا كَانَ بِالصَّفْرَاءِ، قَسَمَ الْغَنَائِمَ وَضَرَبَ عُنُقَ النضر بن الحارث بن كلدة، ثُمَّ لَمَّا نَزَلَ بِعِرْقِ الظُّبْيَةِ، ضَرَبَ عُنُقَ عقبة بن أبي معيط.

وَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ مُؤَيَّدًا مُظَفَّرًا مَنْصُورًا قَدْ خَافَهُ كُلُّ عَدُوٍّ لَهُ بِالْمَدِينَةِ وَحَوْلَهَا، فَأَسْلَمَ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَحِينَئِذٍ دَخَلَ عبد الله بن أبي الْمُنَافِقُ وَأَصْحَابُهُ فِي الإِسْلاَمِ ظَاهِرًا.

وَجُمْلَةُ مَنْ حَضَرَ بَدْرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلاَثُمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ وَثَمَانُونَ، وَمِنَ الأَوْسِ أَحَدٌ وَسِتُّونَ، وَمِنَ الْخَزْرَجِ مِائَةٌ وَسَبْعُونَ.. وَاسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلاً: ستة من المهاجرين وهم:

١. عُمَيْر بن أبي وقاص الزهري.

٢. ذو الشمالين بن عبد عَمْرو الخزاعي.

٣. عاقل بن البُكير العدوي.

٤. مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب.

٥. صفوان بن بيضاء الفهري.

٦. عُبَيْدة بن الحارث بن المطلب...

وثمانية من الأنصار وهم:

١. سعد بن خيثمة من بني عَمْرو بن عوف.

٢. مبشر بن عبد المنذر. من بني عمرو بن عوف.

٣. يزيد بن الحارث ابن فُسْحُم من بني الحارث بن الخزرج.

٤. عُمَيْر بن الحمام من بني سلمة

٥. رافع بن المُعَلَّى من بني حبيب.

٦. حارثة بن سراقة بن الحارث من بني النجار..

٧. عوف بن الحارث من بني غَنْم بن مالك بن النجار.

٨. مُعَوِّذ بن الحارث من بني غَنْم بن مالك بن النجار.

زاد المعاد (٣/١٦٨)، وابن هشام (٢/٣٥٤) وصحيح البخاري (٥/١١١).

وهنا يبدو لنا سؤال؛ ألا وهو: ماذا صنع النبي صلى الله عليه وسلم بالأسرى؟ هذا ما نذكره في العدد القادم بإذن الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد: فإن شريعة الإسلام جاءت بالتوحيد الخالص من شوائب الشرك، وسدت كل ذريعة (وسيلة) تفضي إليه، هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من أهل العلم من أهل السنة والجماعة، ومن الذرائع المفضية إلى الشرك اتخاذ القبور مساجد؛ سواء في ذلك بناء المساجد على القبور، أو بإدخال القبور إلى المساجد.

حرمة اتخاذ القبور مساجد

إعداد د. محمد عبد العزيز

والأدلة على ذلك متضافرة أكتفي منها بذكر عشرة أحاديث:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» أخرجه مسلم (٥٣٠).

٢- عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أدخلوا عليَ أصحابي. فدخلوا عليه وهو مُتقَنِعٌ ببُردة مُعافريّ، فكشف القناعَ، فقال: لعن الله اليَهودَ والنّصارَى اتَخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد». أخرجه أحمد (٢١٨٢٢). ببُردة مُعافريَ: برود باليمن منسوبة إلى معافر، وهي قبَيلة باليمن.

٣- عن عائشة، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أنه: «لما نُزِلَ برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يَطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه. فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذر ما صنعوا». أخرجه البخاري (٤٣٥) (٣٤٥٣)، (٤٤٤٣)، (٥٨١٥)، ومسلم (٥٣١).

٤- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لولا ذلك أُبْرِزَ قبرُه، غير أنه خَشيَ -أو خُشيَ- أن يُتَخذ مسجدًا» أخرجه البخاري (١٣٩٠)، (٤٤٤١).

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» أخرجه البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠).

٦- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن أم حبيبة، وأم سلمة رضي الله عن الجميع ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور. فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة». أخرجه البخاري (٤٢٧)، (٣٨٧٣)، ومسلم (٥٢٨).

٧- عن جندب رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك» أخرجه مسلم (٥٣٢).

٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» أخرجه أحمد (٧٣٥٢).

٩- عن أبي عبيدة، قال: آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم: «أخرجوا يهود أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». أخرجه أحمد (١٦٩١).

١٠- عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». أخرجه أحمد (٧٣٥٨).

فلا يجتمع في الإسلام قبر ومسجد، قال الشوكاني في شرح الصدور بتحريم رفع القبور (ص ٨): «اعلم: أنه قد اتفق الناس، سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هذا الوقت: أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله لفاعلها، كما يأتي بيانه، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين».

ولما خالف بعض الناس هذا الهدي وأدخلوا قبور صالحيهم المساجد استجر الشيطان كثيرًا من العوام الطغام فصرفوا إلى أهلها كثيرًا من العبادات كدعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والذبح لهم، والنذر لهم، والطواف حول قبورهم، واعتقاد أن لهم قوة

وتصريفًا، وهذا أمر قديم في جهلة العوام من سائر الأمم، وهو في أمتنا أيضًا واضح جلي لا يحتاج إلى تمثيل، ولا يجادل في وقوعه أحد، وقد ذكر الذهبي وابن كثير من المنكرات الواقعة عند ضريح السيدة: نفيسة بنت أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، القرشية الهاشمية طائفة من تلك المنكرات.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/١٠٦): «ولجهلة المصريين فيها (يعني: السيدة: نفيسة) اعتقاد يتجاوز الوصف، ولا يجوز مما فيه من الشرك، ويسجدون لها، ويلتمسون منها المغفرة، وكان ذلك من دسائس دعاة العبيدية».

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/٢٨٦): «قال (يعني: ابن خلكان): ولأهل مصر فيها (يعني: السيدة: نفيسة) اعتقاد.

قلت: وإلى الآن، قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيرًا جدًا، ولا سيما عوام مصر فإنهم يطلقون فيها عبارات صعبة مجازفة:

- تؤدي إلى الكفر والشرك.
- وألفاظًا كثيرة ينبغي أن يعرفوا أنها لا تجوز.
- وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين وليست من سلالته.
- والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات.
- وأصل عبادة الأصنام من:
- المغالاة في القبور وأصحابها، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمسها.
- والمغالاة في البشر حرام.
- ومن زعم أنها تفك من الخشب، أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك.

رحمها الله وأكرمها».

فينبغي على أهل العلم وطلابه والأدباء وذوي الكلمة أن ينبهوا العوام على خطورة هذه المنكرات على عقيدتهم.

لكن بدلاً من ذلك خرج علينا فئام ممن ينتسبون إلى العلم ونشره إلى تبرير ذلك لهؤلاء العوام بدلاً من تحذيرهم من الوقوع في هذا الغلو وذلكم الشرك، وهؤلاء يقال لهم ما قاله الشيخ الغزالي- رحمه الله- في كتابه عقيدة المسلم (ص ٨٤- ٨٥): «ولماذا نستحي من وصف القبوريين بالشرك؟ مع أن الرسول وصف المرائين به، فقال: (الرياء شرك). وإن واجب العالم أن يرمق هذه التوسلات النابية باستنكار، ويبذل جهده في تعليم ذويها طريق الحق، لا أن يفرغ وسعه في التمحل والاعتذار! ولست ممن يحب تكفير الناس بأوهى الأسباب، ولكن حرام أن ندع الجهل بالعقائد ونحن شهود.

أية جريمة يرتكبها الطبيب إذا هو طمأن المصدور ومنع عنه الدواء، وأوهمه أنه سليم معافى؟! إن ذلك لا يجوز».

بل وزاد بعضهم عن مجرد تبرير ذلك للعوام فذهب إلى استحباب صرف تلك العبادات إلى هؤلاء الصالحين مدعيًا أن الإنكار عليهم وتحريم ذلك بدعة وهابية أو تيمية لم يقل بها أحد غيرهم، وهذا كذب صراح، بل أئمة أهل العلم مصرحون بذلك في كل عصر، وأنا سأنقل في هذه الأسطر بعضًا من كلامهم لتقف عليه، وسأكتفي من ذلك بخمسة نقول فقط.

١- صرح فخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ) بأن تعظيم قبور الأكابر ودعاء أهلها من الشرك، وذلك عند تفسير قوله تعالى: «وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (يونس: ١٨).

قال في التفسير الكبير (١٧/٢٢٧): «ورابعها: أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل، فإن أولئك الأكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى.

ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر، على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله».

٢- قال الإمام النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ) في المجموع شرح المهذب (٤/٦٩): «ما يفعله كثير

من الجهلة من السجود بين يدي المشايخ، بل ذلك حرام قطعًا بكل حال سواء كان إلى القبلة أو غيرها وسواء قصد السجود لله تعالى أو غفل وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر أو يقاربه عافانا الله الكريم».

٣- قال شهاب الدين ابن حجر الهيتمي (المتوفى: ٩٧٤هـ) في الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢٤٤/١): «الكبيرة: الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثانًا، والطواف بها، واستلامها، والصلاة إليها».

٤- قال شهاب الدين الرملي (المتوفى: ١٠٠٤هـ)- ناقلاً عن تقي الدين ابن الصلاح (المتوفى:٦٤٣هـ)- في نهاية المحتاج (١٢٢/١): «قال ابن الصلاح: ما يفعله عوام الفقراء من السجود بين يدي المشايخ فهو من العظائم، ولو كان بطهارة وإلى القبلة، وأخشى أن يكون كفرًا».

٥- قال شهاب الدين الألوسي الحنفي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) في روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢٩٨/٣): «الناس قد أكثروا من دعاء غير الله تعالى من الأولياء الأحياء منهم والأموات وغيرهم؛ مثل: يا سيدي فلان أغثني.

وليس ذلك من التوسل المباح في شيء، واللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك وألا يحوم حول حماه.

وقد عده أناس من العلماء شركًا وألا يكُنْه، فهو قريب منه.

ولا أرى أحدًا ممن يقول ذلك إلا وهو يعتقد أن المدعو الحي الغائب أو الميت المغيب يعلم الغيب أو يسمع النداء ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الأذى وإلا لما دعاه ولا فتح فاه، وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم.

فالحزم التجنب عن ذلك وعدم الطلب إلا من الله تعالى القوي الغني الفعال لما يريد». فيقال لهؤلاء- تنزلاً-: أهؤلاء العلماء وهابيون تيميون؟!

وقد تمادى هؤلاء في تلبيسهم على عوام المسلمين فادعوا أن فعل هذه المنكرات هو عقيدة الأزهر التي أقر الناس عليها من قديم الزمان، وهذا أيضًا خطأ فمؤسسة الأزهر شيء وبعض من ينتمون إليها شيء آخر، وهؤلاء كبار علماء الأزهر ينكرون هذه المنكرات، وسأكتفي بنقل خمس فتاوى لهم.

١- قال فضيلة الشيخ: محمد عبده مفتي الديار المصرية (المتوفى: ١٩٠٥م) وقد سئل بتاريخ: (٢٨ ذي الحجة ١٣١٩هـ) سؤالاً جاء فيه: ضريح قديم عليه قُبة في شارع مطروق ليلاً ونهارًا، معرضة للبول والأقذار، وبجوار هذا الضريح مسجد منسوب لصاحبه، وفي هذا المسجد باب لذلك الضريح، فهل يجوز هدم القبة ونقل الضريح إلى داخل المسجد أو يبقى في محله؟

فأجاب- رحمه الله -: «المروي عن الإمام أبي حنيفة أن بناء بيت أو قبة على القبر مكروه (حاشية ابن عابدين ٢٣٨/٢).

وهو يدل على أن لا بأس بهدم القبة المذكورة، بل إنه الأَوْلى، فإذا كانت تجتمع حولها القاذورات واعترضت في الطريق تأكدت الأولوية.

أما موضع القبة وهو الضريح فيسوى بأرض الشارع؛ لأنه لو فُرض أنَّ تحته ميتًا مدفونًا فقد بلي، فيجوز استعمال أرضه في غير الدَّفن. والله أعلم» (فتاوى دار الإفتاء المصرية (١٩٠/٥)).

٢- قال فضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة مفتي الديار المصرية (المتوفى: ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م) في كتابه: أحكام النذور (٣٧): «... وصحيح أنك إذا سألت أحد هؤلاء الضالين إن كان يعتقد ألوهية من يقدم القربان إليه استعاذ بالله، واستنكر نسبة الكفر إليه، ولكن أذلك نافعهم بشيء؟!

أذلك منقذهم من شائبة الشرك بله العصيان؟

ما أشبه ما يقدمون من قربان وما ينذرون من نذور وما يعتقدون في الأضرحة وساكنيها بما كان يصنع المشركون في الجاهلية.

وما يغني عنهم نفي الشرك عنهم بألسنتهم وأفعالهم تنبئ عما يعتقدون من أن هؤلاء الأولياء لهم نافعون ولأعدائهم ضارون».

٣- قال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، الشيخ: عبد المجيد سليم- رحمه الله- (المتوفى: ١٣٧٤هـ- ١٩٥٤م): وقد سئل سؤالاً من وزارة الأوقاف -وكان آنذاك مفتي الديار المصرية- بتاريخ: جمادى الأولى ١٣٥٩ هجرية- ٢٢ من يونيه ١٩٤٠م: يوجد بوسط مسجد عز الدين أيبك قبران، وَرَدَ ذكرهما في الخطط التوفيقية، وتقام الشعائر أمامهما وخلفهما، وقد طلب رئيس خدم هذا المسجد دفنه في أحد هذين القبرين؛ لأن جده الذي حدد بناء المسجد مدفون بأحدهما، فنرجو التفضل ببيان الحكم الشرعي في ذلك.

- فأجاب- رحمه الله تعالى: «نفيد أنه قد أفتى شيخ الإسلام ابن تيميّة بأنه: لا يجوز أن يُدفن في المسجد ميت، لا صغير، ولا كبير، ولا جليل، ولا غيره؛ فإن المساجد لا يجوز تشبيهها بالمقابر (الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيميّة ٢/٨٥) ....». (فتاوى دار الإفتاء المصرية (٧/١٥٤)).

٤- قال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، الشيخ: محمود شلتوت (المتوفى: ١٩٦٣م).

«... لذلك كان من أحكام الإسلام فيما يختص بأماكن العبادة تطهيرها من هذه المشاهد: «وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» (البقرة:١٢٥)، «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» (الحج:٢٦)، «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ» (التوبة:١٨)، «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» (الجن:١٨).

- تسرب الشرك إلى العبادة: وما زلّ العقل الإنساني وخرج عن فطرة التوحيد الخالص -فعبد غير الله، أو أشرك معه غيره في العبادة والتقديس- إلاَّ عن طريق هذه المشاهد التي اعتقد أنّ لأربابها والثاوين فيها صلة خاصة بالله، بها يُقرّبون إليه، وبها يشفعون عنده؛ فعظّمها واتجه إليها واستغاث بها، وأخيرًا طاف وتعلّق، وفعل بين يديها كل ما يفعله أمام الله من عبادة وتقديس.

- لا تتخذوا القبور مساجد: والإسلام من قواعده الإصلاحية أن يسد بين أهله ذرائع الفساد ....» (الفتاوى، للإمام الأكبر: محمود شلتوت (ص٨٨-٩٠)).

٥- قال فضيلة الشيخ: أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف (المتوفى ١٤٠٥- ١٩٨٥ م) عندما وجهت له بعض الهيئات الدينية في الهند هذا السؤال: هل من الجائز شرعًا تزيين القبور، وإقامة الأضرحة عليها؟... قال: «هذا العمل ضرب من الوثنية، وعبادة الأشخاص، وقد منعه الإسلام، ونهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وحث على تركه ....». (فتاوى هامة، جمع فضيلة الشيخ: فتحي أمين عثمان- رحمه الله- مدير لجنة التراث بجمعية أنصار السنة المحمدية (ص ١٥- ١٦)، نقلاً عن جريدة الأهرام ١٤ فبراير ١٩٥٥م، وكتاب: ليس من الإسلام، لفضيلة الشيخ: محمد الغزالي، تحت عنوان: فتوى رسمية (ص: ٢٥٦)).

فهذا الذي قرره فضلاء علماء الأمة هو الحق الذي يتفق مع ما جاء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد نقل ابن تيمية الإجماع على ذلك في مجموع الفتاوى -جمع: عبد الرحمن بن القاسم-، قال (٢٧/٤٨٨): «بل لا يجوز اتخاذ القبور مساجد، سواء كان ذلك ببناء المسجد عليها أو بقصد الصلاة عندها. بل أئمة الدين متفقون على النهي عن ذلك، وأنه ليس لأحد أن يقصد الصلاة عند قبر أحد لا نبي ولا غير نبي.

وكل من قال: إن قصد الصلاة عند قبر أحد أو عند مسجد بني على قبر أو مشهد أو غير ذلك: أمر مشروع بحيث يستحب ذلك ويكون أفضل من الصلاة في المسجد الذي لا قبر فيه: فقد مرق من الدين، وخالف إجماع المسلمين».

هذا ما يسره الله تعالى في هذا المقام.

وقفات مع العدوان الصهيوني على غزة

إعداد **د. أيمن خليل**

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.....، أما بعد، فقد شن جيش الاحتلال الصهيوني في أول شهر أغسطس٢٠٢٢م عدوانًا بطائراته على قطاع غزة استمر ثلاثة أيام، وأسفر عن قتل ٤٨ مواطنًا فلسطينيًا، بينهم ١٦ طفلاً و٤ نسوة واصابة ٣٦٠ معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ بجراح مختلفة، بالاضافة إلى تدمير عشرات المنازل، ونعرض لأهم أهداف الكيان الصهيوني من هذا العدوان؛ تأسيًا بقوله تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام - ٥٥).

١ - ولتستبين سبيل المجرمين:

فمن أشد ما يبتلى به المسلمون أن يذوب الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، وبين الحق والباطل، وبين سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، ومن لم تستبن له سبيل المجرمين أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين، بل وربما دعا إليها باعتبارها من سبيل المؤمنين، وحينئذ تنقض عرى الدين عروة عروة.

٢ - العقيدة تحرك الكيان الصهيوني:

فقد أقاموا دولتهم على المعتقدات الصهيونية منذ إعلان دولة إسرائيل في ١٩٤٨/٥/١٤ الذي دعا إلى استعادة "المملكة الداودية-السليمانية"، تحت شعار إعادة بناء الدولة اليهودية (re-establishment of the Jewish state). فقد ورد عندهم في سفر التكوين أن الرب أعطى لإبراهيم الأرض من نهر مصر إلى نهر الفرات، وفي سفر صموئيل الثاني، وسفر الملوك الأول؛ إن الملك داود، أقام إمبراطورية، تمتد بين النيل والفرات، ولذا جسدوا هذه العقيدة في علم دولتهم الذي يتكون من خطين أزرقين (يرمزان إلى نهر النيل ونهر الفرات) بينهما النجمة السداسية - التي ترمز إلى مملكة إسرائيل الكبرى التي تمتد من النيل إلى الفرات، ولذا لا نجد حدودًا ثابتة لدولتهم، فقد اكتفى إعلان قيام دولة إسرائيل في ١٩٤٨/٥/١٤ بالإشارة إلى أرض إسرائيل، مهد الشعب اليهودي، دون أن يرسم لهذه الأرض حدودًا!!

والنشيد الوطني الصهيوني المعروف باسم "هاتكفاه" أو (الأمل) يتحدث عن أرض الميعاد، ومنذ نيف وستين سنة يقومون بالتنقيب تحت المسجد الأقصى بحثًا عن هيكل سليمان، والذي يعرف عندهم بـ "بيت همقدش" أي "البيت المقدس"، وهو المعبد اليهودي الأول في القدس الذي

بناه - بزعمهم - سليمان عليه السلام.

فهل ترسخت عقيدة المسلمين في نفوسهم فالتزموها كهؤلاء؟ وتجيب جريدة المصري اليوم في عددها الصادر بتاريخ ٢٠١٢/٣/٥ عن ذلك، حيث نشرت تحت عنوان: "١٥٠٠ إسرائيلي يزورون المدينة يومياً للعب القمار الممنوع في تل أبيب"، والمقال يتحدث عن فنادق بطابا بسيناء التي تستقبل النزلاء الإسرائيليين الذين يفدون للعب القمار في قاعات القمار بهذه الفنادق، لأنه ممنوع في إسرائيل لكونه محرمًا حسب عقيدتهم اليهودية، فمئات اليهود يقدمون إلى طابا المصرية يوميًا للعب القمار؛ لأنه في اليهودية يمنع القمار مطلقًا!!

٣- هدف العدوان الصهيوني تحطيم وفاة التضامن مع الشعب الفلسطيني:

ذكر البروفيسور دان شيفان - رئيس البرنامج الدولي للأمن القومي بجامعة حيفا - في مقال نشرته جريدة "إسرائيل اليوم" أن الهدف المرحلي الذي نجح الكيان الصهيوني في تحقيقه كاملاً من العدوان الذي لحق بأهل غزة في أوائل شهر أغسطس ٢٠٢٢ هو عزل المقاومة الفلسطينية في غزة، ويؤكد أن تحطيم التضامن العربي مع القضية الفلسطينية أنهى مسيرة طويلة استمرت لما يزيد على الخمسين سنة، كانت تمثل خطرًا داهمًا على الدولة الصهيونية؛ لأن التضامن الإسلامي والعربي مع الفلسطينيين، كان يجعل الكيان الصهيوني في مواجهة جحافل لا طاقة لهم بها، وهو ما يجعل الخطر أكبر من أن يتصور.

فكان هدف الكيان الصهيوني تفكيك العزلة التي عاشوها دهورًا، وانهاء التضامن الإفريقي مع الفلسطينيين من خلال إقامة علاقات اقتصادية متميزة مع بلدان القارة السمراء، والقضاء على التضامن العربي والإسلامي من خلال التطبيع مع الحكومات العربية والإسلامية، ولذا لا نكاد نجد استنكارًا لحفظ ماء الوجه، وكأن هذا العدوان لم يطلع عليه أحد، بل والأعجب من ذلك أن الفصائل الفلسطينية قد انقسمت على نفسها، حتى إن جماعة حماس وقفت على الحياد مما يحدث لبني وطنهم وكأن الأمر لا يعنيهم.

٤- الهدف الصهيوني القادم هو الشعوب العربية:

يشير السفير الإسرائيلي السابق لدى القاهرة إسحق ليفانون - والباحث حالياً في معهد هرتزليا للدراسات الأمنية الإسرائيلية- إلى أنه رغم التعاون بين إسرائيل والقيادة الأمنية والعسكرية والسياسية في مصر والذي كان على أعلى المستويات في عهد مبارك، إلا أن العلاقات الثقافية والاقتصادية والزراعية والتبادل التجاري كانت صفرًا، ولم يكن هناك أي نوع من أنواع التعاون على مستوى الشعوب، حتى إن كل النقابات في مصر رفضت أي علاقة مع إسرائيل والإسرائيليين ومن كلامه السابق يتبين أنه ينبغي على الشعوب أن تظل على موقفها الثابت الرافض للتطبيع، فعلاقات الدول مع الكيان الصهيوني أمر سياسي لا شأن للشعوب به ولا يد لهم فيه، فعليها أن تظل رافضة لأي تقارب مع الكيان الصهيوني، معرضة عن التطبيع معه بكل ما أوتيت من قوة. فلا يجوز لبعض المسلمين أن يوالوا هؤلاء الصهاينة؛ لقوله تعالى: «لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ» (سورة المجادلة: ٢٢)، ونؤكد أن رفض الشعوب لهم ليس لأنهم يهودًا، وانما لصهيونيتهم التي يرفضها العديد من اليهود أنفسهم.

٥- الإعلام الصهيوني ساحر الملك:

يطالب إسحق ليفانون في مقال له بجريدة معاريف بإنشاء تليفزيون ينطق باللغة العربية لمخاطبة الشعوب العربية، وعرض وجهة النظر الإسرائيلية، ويؤكد على أن العدوان الصهيوني الأخير (أغسطس ٢٠٢٢) على غزة والذي استمر لثلاثة أيام أظهر أهمية الإعلام في العصر الحالي لغرس الرواية الإسرائيلية لدى الجمهور الغفير، ويحذر من فشل الإعلام في تصدير روايته بشأن

الأحداث الأخيرة، لأن العالم حينئذ يتقبل روايات (الأعداء). وليفانون بذلك يؤكد على أهمية الإعلام وقدرته على إلباس الباطل ثوب الحق، ويذكرنا بساحر الملك في أصحاب الأخدود، فالنبي صلى الله عليه وسلم يخبرنا: "كان فيمن قبلكم ملك وكان له ساحر"، وقد يتعجب البعض: لماذا يتخذ الملك ساحرًا وله جيش يقهر الناس على طاعته، وكل من في المملكة يصدر عن قوله؟ والسبب أن هذا الساحر يتسلط بسحره على كل من يناوئ الملك ليسومه سوء العذاب فيرده ذليلا مقهورا لحظيرة الملك، وهذا كان دور سحرة فرعون، والعلاقة بين الملك وبين السحر لم تنته وإنما تحولت من الاستعانة بالجن إلى الاستعانة بالكلمة المسموعة والمقروءة، وهذا سحر الكلمة أو سحر البيان كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرًا، أو إن بعض البيان لسحر". (صحيح البخاري - كتاب الطب - باب من البيان سحرًا).

وليفانون يطالب بإعداد ساحر يتسلط على الشعوب العربية ليسحرها ويحيل حقائق الأشياء فيتحول الحق إلى باطل ويصبح مجاهدة العدو الغاصب للأرض إرهابًا، ويصبح العدوان الغاصب الغاشم على المدنيين الأبرياء حقًا مشروعًا في الدفاع عن النفس، ويصبح الخضوع والذل سلامًا، وتصبح خيانة قضايا الأمة تطبيعًا وتعايشًا سلميًا، وأول من انتبه أن أجهزة الاتصال الإلكترونية خاصة التلفاز تسيطر على حياة الشعوب وتؤثر على أفكارها ومؤسساتها ومن خلالها يمكن السيطرة على الشعوب، العالم الكندي "مارشال ماكلوهان"، والذي يرى أن الولايات المتحدة التي تسيطر على الجانب الأكبر من الإعلام العالمي هي الأقدر على تحويل العالم إلى نمطها والسيطرة عليه من خلال وسائل الإعلام، وصاغ نظرياته في مؤلفاته مثل: العروس الميكانيكية عام ١٩٥١، ومجرة جوتنبرج عام ١٩٦٢، وفهم وسائل الاتصال عام ١٩٦٤، والإعلام هو رسالة الحرب والسلام في القرية العالمية عام ١٩٦٨.

٥- إن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين:

سكت كثيرون عن العدوان الصهيوني على غزة بدعوى أن سرايا القدس (الذراع العسكري لحركة الجهاد الإسلامي) تتعاون مع إيران وتواليها، رغم علمهم أنها جماعة سنية وليست شيعية، وأنها لا تكاد تجد مناصرًا من أهل السنة، وأيًا كان الأمر، فلا ينبغي أن نفرق بين الفلسطينيين وأن نقسمهم إلى شيع وطوائف؛ وعلينا ألا نخذلهم ولا نسلمهم لعدوهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه". (متفق عليه: أخرجه البخاري، في كتاب المظالم، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب). وعلينا أن نتذكر قول الله سبحانه في أول سورة الروم: «غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ» (الروم: ٢-٤). فالمشركون فرحوا بانتصار الفرس لأنهم أصحاب أوثان كالعرب، أما المسلمون ففرحوا بظهور الروم بعد ذلك على فارس لأنهم أهل كتاب، أو ليس إخواننا في فلسطين أحق بأن نسعد لانتصارهم، وأن نغتم لمصابهم.

وإذا كان وعد الله بنصر الروم على الفرس قد تحقق وفرح المسلمون بذلك؛ فإنا ننتظر وعد الله بالنصر على اليهود - وهو سبحانه لا يخلف وعده - حيث قال سبحانه عنهم في سورة الإسراء: «إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا» (الإسراء: ٧).

وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين.

أركان (لا إله إلا الله)

إعداد حسين إسماعيل الجمل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فإن شهادة أن «لا إله إلّا الله» تشتمل على ركنين أساسين:

الركن الأول: النفي، وهو نفي الآلهة الباطلة لقوله تعالى: «ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ» (الحج:٦٢).

والركن الثاني: الإثبات، وهو إثبات العبودية وخصائص الألوهية لله تعالى وحده.

فالمراد بالنفي: نفي الإلهيّة عمّا سوى الله تعالى من سائر المخلوقات، يعني أنّه لا مألوه يستحقّ أن يُعْبد إلّا الله، فإذا قلت: «لا إله»، كنت نافيًا جميع ما يُعْبد دون ما سوى الله، والآلهة غير الله تعالى كثيرة، ولكن بالباطل، وإنّما الإله المستحق للعبادة بحق هو الله وحده.

فكلمة «لا إله إلّا الله»، مُتَرَكّبةٌ من نفي وإثبات، فمعنى النفي منها: خَلْع جميع أنواع المعبوَدات غيَر الله: كائنةَ ما كانت في جميع أنواع العبادات، ومعنى الإثبات منها: إفراد الله جل وعلا وحده بجميع أنواعِ العبادات بإخلاص، على الوجه الّذي شرعه على ألَسنة رسله عليهمَ الصلاة والسلام.

والمراد بالإثبات: إثبات الإلهيّة لله سبحانه، فهو الإله الحقّ، وما سواه من الآلهة الّتي اتّخذها المشركون، فكلها باطلة، إذ ليس المراد من الإثبات في كلمة التوحيد إثبات انفراد الله تعالى بالخلق والرّزق والإيجاد والإحياء والإماتة والاستقلال بالتأثير، وغير ذلك من خصائص الربوبيّة، بل المراد من الإثبات المضمّن في «إلّا الله»، إثبات الألوهيّة لله تعالى، المستحقّ لصرف جميع أنواع العبادات كلها له تعالى وحده، قال تعالى: «ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ» (الحج:٦٢).

فائدة الإثبات بعد النفي:

إنّ الإثبات بعد النفي في قولنا: «لا إله إلّا الله»، وقولنا: «لا إله غير الله»، أعظم وأقوى دلالةً في الإثبات من مجرد إثبات بلا نفي: كقولنا: «الله إله واحد»: لأنّ في قولنا: «الله إله واحد» يثبت أنّ الله سبحانه إله واحد، ولكنه لا ينفي ألوهيّة غيره لفظًا، فلا يدل على انفراده سبحانه بالألوهيّة، بخلاف النفي والإثبات، فهما يدخلان الحصر والقصر في الكلام، أيْ: حصر الألوهيّة، وقصرها على الله سبحانه.

ولهذا، جاء قوله عز وجل: «وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ» (البقرة:١٦٣)، بالجمع بين النفي والإثبات.

وفي قولنا: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، فقولنا: «وحده» تأكيدٌ للإثبات، وفي قولنا: «لا شريك له» تأكيدٌ للنفي.

وإذا تدبّرت القرآن -من أوّله إلى آخره- رأيته يدور على هذا النفي والإثبات، وتقريره.

وقد اعتنى أئمة التفسير من السلف بإبراز هذين الركنين في أقوالهم التفسيرية، وهذا ما سنلاحظه من خلال تفسيرهم لقوله تعالى «مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ» (الأنعام:١٦٠)، ونقتطف نموذجا من أقوالهم مرتبة على الطبقات (الصحابة - التابعين).

نموذج من أقوال الصحابة التفسيرية في قوله تعالى «مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ» (الأنعام:١٦٠)

١-عَنْ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من جاء بالحسنة»، قال: «لا إله إلا الله».

٢-وعن أبي هريرة رضي اللهِ عنه قال: «من جاء بالحسنة» قال: «لا إله إلا الله».

٣-وعن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما في قوله: «من جاء بالحسنة»، يقول: «مَنْ جاء بلا إله إلا الله».

أقوال التابعين التفسيرية في قوله تعالى «مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ» (الأنعام:١٦٠)

١- عن سعيد بن جبير رحمه الله في قوله تعالى: «من جاء بالحسنة» قالَ: «لا إله إلّا الله».

٢- و عن مجاهد بن جبر رحمه الله «من جاء بالحسنة» قال: «لا إله إلا الله».

٣-وعن عطاء بن أبي رباح رحمه الله في قوله: «من جاء بالحسنة» قال: «كلمة الإخلاص: لا إله إلّا الله». (تراجع هذه الآثار في تفسير ابن جرير (٣٨/١٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٤٣١/٥). والطبراني في الدعاء (١٥٠٧). والسيوطي في الدر المنثور (٢٩٦/٦).

وللحديث صلة إن شاء الله.

مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد فإن قضية الإصلاح هي قضية الأمة الأولى، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو إمام المصلحين، فالرحمة أساس دعوته وجوهر منهجه، ولا يؤتي الإصلاح ثماره المأمولة إلا إذا حمله رجال مخلصون، متعلقون بأشواق الروح، منكرون لذواتهم ومصالحهم الشخصية، يعالجون جراحات الآخرين باعتبارها قروحًا تنزف في أجسامهم هم، ورغم أننا في عالمنا الإسلامي نملك رصيدًا تاريخيًا فريدًا قدم للبشرية مناهج ونظمًا وقيمًا ومبادئ أسهمت إسهامًا فاعلًا في التطور البشري في كل مجالاته العقائدية والتشريعية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية إلا أننا مازلنا نعاني في أغلب الأحوال من عدم وضوح الرؤية، وكثرة العثرات والانكسارات؛ وذلك لأسباب شتى؛ منها عدم ضبط مفهوم الإصلاح كما ورد في الكتاب والسنة وكما مارسه أنبياء الله ورسله عبر التاريخ، ومنها الواقع المر الذي نعيش فيه حيث وفدت علينا ثقافات غربية، بل ظهرت نظرية العولمة وغيرها من المشروعات الفكرية الغربية والصهيونية التي استهدفت المجتمعات الإسلامية كي تنحرف عن نهج الإسلام القويم

إعداد ا.د. عبد الوارث عثمان
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

وقد حرص أصحاب هذه النظريات الإلحادية المدمرة على بثها ونشرها في المجتمعات الإسلامية كالإقبال على الخمور وعلى الفجور وإثارة الغرائز والشهوات، والقمار والربا بشتى أنواعه، وافتعال قضايا وهمية للمرأة كإيهامها بحقها في التبرج والتعري ومناطحة الرجال فيما اختصهم الله به لتفقد الأسرة المسلمة أحد أهم أعمدتها وينهار بنيانها، لتنغمس المجتمعات الإسلامية في الحياة المادية الخالصة التي تمهِّد لها سُبُل التهاون في الدين وفروضه وتعاليمه في الاقتصاد والسلوك والأخلاق وفي التعاون على الخير. ومن هنا فقد سيطر الإغفال على العقائد والعبادات بما يشبه الاختلال في السلوك، بل إنه وفدت فلسفات ومذاهب ضالة استمالت العديد من المسلمين بل واستخدمت العلاقات الجنسية والنزعات الإباحية كهدف وغرض انصرف الجميع إلى الظفر به.

والإصلاح المنشود للأمة الإسلامية لا بد أن يكون نابعًا من ذاتية الأمة وثقافتها وثوابتها الممتدة من تجاربها التاريخية الفريدة بمعنى "خصائص الحضارة الإسلامية" التي تميزها عن أي حضارة أخرى.

ومن أهم خصائص الحضارة الإسلامية: تمسُّكها بعقيدة التوحيد الخالص ومبادئ الدين القيِّم وتطبيق أحكام الله تعالى على الفرد والجماعة، وتغيير الواقع المتصادم مع هذه الأحكام الإلهية والشريعة الربانية بالوسائل والطرق المستمدة من وحي السماء، على أن نضع في الاعتبار تطبيق الأمة الإسلامية لها والاستفادة من تجاربها العملية والواقعية عبر العصور المنقضية من عمر هذه الأمة. يقول الله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ) (الرعد: ١١).

الإصلاح وبناء الفرد:

فقد يكون الإنسان طيبًا، لكن ما لم يهتم بهموم البشرية والمجتمع الذي يعيش فيه ويبحث عن حلول لما يدور حوله من مشاكل فهذا لا يعني شيئًا. لقد ظهرت مدارس فلسفية وأنظمة فكرية متعددة عبر التاريخ وعلى مستوى العالم، لكن هذه المدارس تناولت الإنسان جزئيًا، منها من ركز على عقل الإنسان، ومنها من ركز على الجانب الروحي، ومن ركز على الجانب الجسدي، لذا فإن هذه الرؤية الجزئية لم تأتِ برؤية متكاملة، وبالتالي لم تقدم للإنسانية السعادة المنشودة، ولا يمكن للإصلاح أن يشق طريقه إلى النجاح إلا إذا اعتمد اعتمادًا أساسيًا على المنهج الإسلامي في التربية والتعليم والإعلام والثقافة والاقتصاد والأسرة والمجتمع.

فالمنهج الإسلامي هو منهج الوسطية: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » (البقرة: ١٤٣). والوسط: الخيار والأجود، ولما أنعم الله على أمة الإسلام بنعمة الوسطية فكانت خير الأمم، خصها الله عز وجل بأكمل الشرائع وأوضح المناهج وأفضل النظم وأيسر التكاليف.

وهذه الآية المباركة تحدد لهذه الأمة دورها في النهوض بالبشرية، ورسالتها في قيادة القافلة الإنسانية، فبذلك تتبوأ مكانتها كخير أمة أخرجت للناس، شاء الله أن تكون أمينة على رسالة السماء وشاهدة على الناس. وحين تتخلى عن هذه الرسالة أو تُخلّ بواجبها تكون قد حَرمت نفسها من خيريتها، ومن كونها الأمة الوسط، وفقدت كيانها المعنوي ودورها الريادي بين الأمم.

ويستوجب الله على هذه الأمة عبادة الله وحده لا شريك له، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إليه وإلى دينه؛ لأنه اختارهم واصطفاهم على سائر الأمم، وكلّفهم بشريعة لا حرج فيها ولا مشقة، ولا ضيق ولا عسر، إنها الحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه السلام، وقد سماهم الله المسلمين من قبل الكتب المتقدمة.

إن الله تعالى جعل هذه الأمة وسطًا عدولاً خيارًا، ليكونوا شهداء على الناس وعلى جميع الأمم؛ لأن جميع الأمم معترفة بفضل هذه الأمة على كل أمة سواها، ولذلك تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة في أن كل رسول بلغ قومه، ويشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه الأمة أنه بلّغها ذلك.

وفي مقابل هذه المنزلة التي بوأها الله لهذه الأمة، وفي مقابل النعمة على الأمة أن تقوم بشكر ربها سبحانه وتعالى، وما أوجبه الله عليها من عبادة وطاعة، ومن أهمها: التوحيد الخالص والصلاة والزكاة والصيام وحج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً، وعليهم أن يعتصموا بالله،

وأن يعتضدوا به ويتوكلوا عليه ويتوحدوا على كلمته سبحانه وتعالى؛ فوحدة الأمة الإسلامية من الواجبات الشرعية، فلا سبيل للإصلاح والنهوض إلا بهذه الوحدة الضرورية الحتمية التي أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم. يقول تعالى: «فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ» (الحج: ٧٨).

وكذلك كانت أمة وسطًا في الزمان، فلم تأت بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته الخاتمة في أول تاريخ البشرية ولا في آخره، بل جاءت في الوسط لتكون مُصدِّقة ومهيمنة وحارسة لما جاءت به الرسالات السماوية السالفة.

وسطية المنهج الإسلامي
ومرجعية إصلاح العالم الإسلامي

يمكن إجمال وسطية المنهج الإسلامي الذي هو مرجعية إصلاح العالم الإسلامي في الآتي:

أولاً: وسطية العقيدة: تعني أنها عقيدة عادلة خيرة، يؤمن العباد فيها بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.. إيمانا لا تمثيل فيه ولا تعطيل؛ لأن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. ويؤمن العباد بالرسول محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بأنه رسول الله وأنه بلّغ الرسالة وأدى الأمانة وهدى الأمة وأخرج الناس من ظلمات الكفر والشرك والجهل إلى نور الإسلام، ويؤمنون بأنه ليس في درجة فوق النبوة والرسالة كما يزعم بعض الضالين في أنبيائهم أنهم وصلوا إلى درجة الألوهية وليس في درجة سائر البشر، فهو بشر ولكنه يوحى إليه ومرسل من ربه، ولذا ورد عنه صلوات الله وسلامه عليه، النهي عن الغلو فيه ونهى عن إطرائه حيث قال: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله". ويؤمنون بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

وكما تتجلى وسطية العقيدة في عدم التمثيل والتعطيل في الصفات، فإنها تتجلى أيضًا في الإيمان بالقدر، فنرى أهل السنة يرفضون رأي الجبرية، الذين يقولون: إن الإنسان مجبور على عمله، كما يرفضون رأي القدرية الذين ينكرون القدر، ووقف أهل السنة والجماعة موقفًا وسطًا فيثبتون أن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ويؤمنون أيضًا بأن للعباد قدرة واختيارًا، أي أنهم يقفون موقفًا وسطًا بين الذين ينفون اختيار العبد والذين ينفون القدر، فيؤمنون بأن الله على كل شيء قدير، وأنه لا يكون في ملكه إلا ما يريد.

ثانيًا: وسطية العبادة: لقد جاءت العبادات في شريعة الإسلام ميسرة ووسطا، فلا هي صعبة يشق على العباد أن يأتوا بها، ولا هي بسيطة جدًا بحيث لا تترك في النفس كبير أثر، وإنما جاءت وسطًا: (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة: ٢٨٦).

ثالثًا: وسطية الأخلاق

رابعًا: وسطية الروح والجسد

خامسًا: وسطية المنهج في الدعوة والإصلاح

وحتى يكتمل الإصلاح في عالمنا الإسلامي المعاصر لا بد من التفاعل الحضاري، وهو علاقة الأمة الإسلامية والعربية بالآخر الحضاري ... وعلاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى وبالحضارات الغربية على وجه الخصوص، ولكي يتم هذا التفاعل الحضاري بالأسلوب الأمثل كان الأخذ بمنهج الوسطية الإسلامية الجامعة المتمثلة في الوسط والعدل والحق ضرورة حتمية بعيدًا عن العزلة والانغلاق الحضاري، وبعيدًا عن التقليد والتبعية الحضارية. فالانغلاق والعزلة الحضارية لا بد أن يؤديا إلى الاضمحلال الحضاري، وخاصة في ظل ثورة الاتصال الحديثة.

أما تقليد حضارة أخرى، وخاصة في الهوية، وثوابت السمات والقسمات المميزة لخصوصيتها على النحو الذي يؤدي للتبعية، فيقود هو الآخر إلى الذوبان والاضمحلال الحضاري؛ وذلك لأن حياة أي حضارة إنما تكمن في إبداعها، وهذا الإبداع يتنافى تمامًا مع التقليد الذي يكتفي بالنماذج المعلبة والخيارات الجاهزة، والأمة الإسلامية عندها من الرصيد التاريخي ما يؤهلها للدفاع عن خصائصها ومميزاتها وثوابتها ما دامت متمسكة بكتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم وتأمل إصلاح نفسها والعالم بهما.

والله الموفق والمستعان.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

أَتْبِع السيئة الحسنة تَمْحُها

قال تعالى: " وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ" (هود: ١١٤، ١١٥).

من فضائل الصحابة

عن عقبة بن الحارث قال: صلى أبو بكر العصر ثم خرج يمشي ومعه عليَ فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه. وقال بأبي شبيه بالنبي... ليس شبيهًا بعلي. وعلي يضحك. (صحيح البخاري).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَى الله عليه وسلَم: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتَى يلقى الله وما عليه خطيئة». (صحيح الترمذي ٢٣٩٩).

حكم ومواعظ

عن زيد قال: إذا كانت سريرة الرجل أفضل من علانيته فذلك الفضل، وإذا كانت سريرة الرجل وعلانيته سواء. فذلك النَصف، وإذا كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور. (شعب الإيمان).

من أقوال السلف

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «إنهم كانوا يتذاكرون الحديث، فقال رجل: دعونا من هذا وجيئونا بكتاب الله؛ فقال عمران: إنك أحمق. أتجد في كتاب الله الصلاة مفسرة؟ أتجد في كتاب الله الصوم؟ إن هذا القرآن أحكم ذاك، والسنة تفسر ذاك. (ذم الكلام الهروي)

إعداد : علاء خضر

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"احذروا صفر الوجوه، فإنه إن لم يكن من علة أو سهر، فإنه من غل في قلوبهم للمسلمين". موضوع رواه الديلمي (٢١/١/١)، والسخاوي في "المقاصد الحسنة" (٣٤/٢٤).

من وصايا السلف

قال أبو علي الحسن بن علي: "من علامات السعادة على العبد تيسير الطاعة عليه، وموافقة السنة في أفعاله، وصحبته لأهل الصلاح، وحُسن أخلاقه مع الإخوان، وبذل معروفه للخلق واهتمامه للمسلمين، ومراعاته لأوقاته".

من درر التفاسير

قال الإمام البغوي في قوله تعالى: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)، ويد الله صفة من صفاته كالسمع، والبصر والوجه..، والله أعلم بصفاته، فعلى العباد فيها الإيمان والتسليم، وقال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف.
(تفسير البغوي).

من معاني الأحاديث

"مَن بطَّأ به عمله لم ينفعه نسبه": أي مَن أخَّره عمله السيئ وتفريطه في العمل الصالح لم ينفعه في الآخرة شرف النسب.
(النهاية ابن الأثير).

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه سلم يقول إذا أخذ مضجعه: «الحمد لله الذي كفاني وآواني وأطعمني وسقاني، والذي مَنَّ عليَّ فأفضل، والذي أعطاني فأجزل، الحمد لله على كل حال، اللهم رب كل شيء ومليكه وإله كل شيء أعوذ بك من النار»
(سنن أبي داود - صحيح).

المعازف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

فمسألة المعازف وحكمها في الشرع، من المسائل التي تكلم فيها العلماء قديمًا وحديثًا بين مانع ومجيز.

وسأبدأ -بإذن الله تعالى- في استعراض الأدلة التي وردت عن المعازف سندًا ومتنًا وأقوال العلماء في ذلك، ونرى أثر قرائن السياق في بيان هذه المسألة.

إعداد د. متولي البراجيلي

أولًا: ما هي المعازف؟

بالنظر في كتب اللغة والمعاجم نجد أن تعريف المعازف كما يلي: هي آلات اللهو يضرب بها، فإذا أفرد المعزف فهو ضرب من الطنابير يتخذه أهل اليمن، وغيرهم، وفي حديث أم زرع: "إذا سمعن صوت المعازف أيقن أنهن هوالك". والمعازف اسم يجمع العود والطنبور والدف والقيثارة وما شابههم، فهي آلات يعزف عليها.

وآلات الملاهي هي آلات الموسيقى، هي الآلات الموسيقية الوترية كالعود والكمان ونحوهما. (انظر تهذيب اللغة للأزهري ٢/٨٦، المخصص لابن سيده ٤/١١، شمس العلوم لنشوان اليمني ٧/٤٥١٢، تاج العروس ٢٤/١٥٥، ٨/٤٣٦، المغرب لبرهان الدين الخوارزمي ١/٣١٤، مختار الصحاح ص٢٠٨، لسان العرب ٩/٢٤٤، المصباح المنير ٢/٤٠٧، معجم اللغة العربية المعاصرة د. أحمد مختار ٢/١٤٩٣، ٢٠٤٣، ٣/٢١٣٩، معجم لغة الفقهاء لقلعجي وقنيبي ص ٤٣٧).

ثانيًا: الأحاديث الواردة في المعازف:

هناك جملة من الأحاديث وردت في المعازف، منها ما صح ومنها مالم يصح، ومن ذلك:

١- عن أبى أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله بعثني رحمة للعالمين وهدى للعالمين، وأمرني ربي بمحق المعازف والمزامير والأوثان والصلب وأمر الجاهلية .... (أخرجه الإمام أحمد في المسند وفي سنده روايان ضعيفان: ابن فضالة بن النعمان التنوخي، وعلى بن يزيد - الألهاني - ح٢٢٢١٨، ٢٢٣٠٧، وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف جدًا).

٢-عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من استمع إلى قينة (مغنية) صُبَّ في أذنيه الآنك يوم القيامة، (الرصاص) (أخرجه ابن عساكر): وهو موضوع انظر ضعيف الجامع الصغير ح ٥٤١٠، وقال الإمام أحمد: باطل، انظر السلسلة الضعيفة ١٠/٥٢).

٣- عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما: سمع صوت زمارة راع فوضع إصبعيه في أذنيه وعدل راحلته إلى الطريق وقال: رأيت رسول الله صلى الله يسمع زمارة راع فصنع مثل هذا (أبو داوود وغيره. قال الألباني: حسن، المشكاة ح ٤٨١١، وحسنه الأرناؤوط في المسند، وفي عون المعبود قال: إسناده قوى انظر ح ٤٥٣٥ والتعليق عليه).

٤- عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، وثمنهن حرام. في مثل ذلك أنزلت عليه الآية: {ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله} (لقمان: ٦) (رواه الترمذي وغيره. في سنده علي بن يزيد وقد ضعفه بعض أهل العلم، وحسن الحديث الألباني بشواهده في صحيح سنن الترمذي وابن ماجه إلا أن الشيخ تراجع عن تحسينه بتمامه إلا فيما يتعلق من نزول الآية في الغناء للشواهد الصحيحة المذكورة عن ابن مسعود وغيره فإنها في حكم المرفوع (انظر السلسلة الصحيحة تحت ح ٢٩٢٢).

٥- عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف. فقال رجل من المسلمين: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف. وفي رواية: إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر (الترمذي وغيره، صححه الألباني بشواهده، انظر الصحيحة ح ٢٢٠٣، وصحيح الجامع ح ٥٤٦٧).

٦- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة (البزار وغيره وقال الألباني عن إسناده: حسن، بل هو صحيح بشواهده، انظر تحريم آلات الطرب ص٥٢).

٧-عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله حرم علي أو حرم الخمر والميسر والكوبة (الطبل) وكل مسكر حرام (أبو داود وغيره وقال الألباني: إسناده صحيح انظر تحريم آلات الطرب ص ٥٦، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند).

٨- عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله عز وجل حرم الخمر والميسر والكوبة والغبيراء (شراب مسكر)، وكل مسكر حرام (أبو داوود وغيره وقال الألباني: حسن لذاته أو على الأقل حسن لغيره، بل هو صحيح بما تقدم (الشواهد) (انظر تحريم آلات الطرب ص ٥٨).

٩- وقد أرجأت هذا الحديث لآخر الأحاديث لأنه يعتبر الحديث العمدة في تحريم المعازف أو جوازها: عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة (أخرجه البخاري ح ٥٥٩٠، وأبو داوود ح ٤٠٣٩، وابن حبان ح ٦٧٥٤، والطبراني في الكبير ح ٣٤١٧، والبيهقي في السنن ٣/٢٧٢، ١٠/٢٢١ وغيرهم). (الحر: الفرج، يعني الزنا، علم: جبل، يروح عليهم راعيهم، بسارحة: بغنم، فيبيتهم الله: يهلكهم في الليل، يضع العلم: يدك الجبل ويقع على رؤوسهم، يمسخ: يغير خلقتهم).

سند الحديث: سند البخاري: وقال هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثنا عطية بن قيس الكلابي حدثنا عبد الرحمن بن غنم الأشعري قال: حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري.

١- دعوى اضطراب السند: حدثني أبو عامر وأبو مالك: أولاً: الاثنان من الصحابة،

والصحابة كلهم عدول، وهذا لا يؤثر في السند بحال. ثانيًا: أخرجه ابن ماجه ح ٤٠٢٠ من حديث أبي مالك الأشعري بغير شك، والطبراني في مسند الشاميين ح ٢٠٦١، والبيهقي في الآداب ح ٦٢٧، والكبرى ح ٢٠٩٨٩، وشعب الإيمان ح ٥٢٢٧).

ثالثًا: وأخرجه ابن حبان عن الصحابيين كليهما.. قال: حدثنا أبو عامر وأبو مالك الأشعريان سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ح٦٧٥٤) (وصحح سنده الألباني في الصحيحة والأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان).

رجال سند الحديث:

عبد الرحمن بن غنم الأشعري: مختلف في صحبته وذكره العجلي في كبار ثقات التابعين، وابن حبان في الثقات التابعين، وقال ابن عبد البر: كان أفقه أهل الشام (انظر: تقريب التهذيب ت ٣٩٧٨، وتهذيب التهذيب ٦/ ٢٥٠).

- عطية بن قيس الكلابي: ثقة مقرئ (انظر: تقريب التهذيب ت ٤٦٢٢، وتهذيب التهذيب ٢٢٨/٧).

- عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: ثقة (انظر: تقريب التهذيب ت ٤٠٤١، تهذيب التهذيب ٦/ ٢٩٧-٢٩٨).

- صدقة بن خالد: ثقة: (انظر تقريب التهذيب ت٢٩١١، تهذيب التهذيب ٤/ ٤١٤).

- هشام بن عمار: ومن يطعن في سند الحديث يطعن بهشام بن عمار بأن البخاري علق الحديث عنه.

هشام بن عمار: وثقه جماعة من أهل العلم، يحيى بن معين، قال: ثقة - كيس كيس- ثقة وفوق الثقة.

وقال العجلي: ثقة وفي موضع آخر قال: صدوق. وقال النسائي: لا بأس به، صدوق.. صالح.

وقال الدار قطني: صدوق كبير المحل.

وقال الجواليقي: ما كان في الدنيا مثله، ولما قرأ بعض أصحاب الحديث يومًا عليه حديثًا ليس من حديثه، فقال لا تفعلوا يا أصحاب الحديث، فإن كتبي قد نظر فيها يحيى بن معين في حديثي كله: إلا حديث سويد بن عبد العزيز، فإنه قال: سويد ضعيف الحديث. وقال الحافظ ابن حجر: صدوق.. كبر فصار يتلقن فحديثه القديم أصح. وقال الذهبي: كان من أوعية العلم حدث عنه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وروى الترمذي عنه بواسطة ولم يلقه مسلم.

وضعّفه جماعة من أهل العلم. وأنه كان لا يُحدّث إلا أن يأخذ مالاً على الحديث، وقال الإسماعيلي: كان يلقّن، وقال أبو حاتم الرازي: لما كبر تغيّر وكل ما دفع إليه قرأه، وكل ما لُقّن تلقّن، وكان قديمًا أصح، كان يقرأ من كتابه. وقال أحمد بن حنبل: طياش خفيف (انظر تقريب التهذيب ت٧٣٠٣، المعلم بشيوخ البخاري ومسلم ت ٤٦٣، تهذيب الكمال ٢٠/ ٢٤٢- ٢٥٥).

ثم يرد سؤال: هل تخريج البخاري ومسلم لراوٍ في صحيحهما يعد توثيقاً له؟

يقول الحافظ ابن حجر : ينبغي لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأي راوٍ كان، مقتضٍ لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ولا سيما ما انضاف إلى ذلك من إطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين..

هذا إذا خرج له في الأصول، فأما إن خرج له في المتابعات والشواهد والتعاليق، فهذا يتفاوت درجات من أخرج له منهم في الضبط وغيره مع حصول اسم الصدق لهم ....

وكان الشيخ أبو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه في الصحيحين: هذا جاز القنطرة، يعني بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه.

يقول الشيخ أبو الفتح القشيري في مختصره: هكذا نعتقد وبه نقول، ولا نخرج إلا بحجة ظاهرة (انظر هدى الساري ص ٣٨٤).

وللحديث بقية.

والحمد لله رب العالمين.

الحلقة
2

مدخل إلى علم التفسير

إن الحمد لله: نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين. أما بعد: فقد تكلمنا في المقالة السابقة عن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن وذكرنا بعض الأمثلة لذلك.

إعداد **د. محمد عاطف التاجوري**

وقد اهتم العلماء بجمع ما ورد من تفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم منهم على سبيل المثال السيوطي في نهاية كتابه الإتقان في علوم القرآن حيث ذكر ما يزيد عن مائتي موضع من مواضع تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن. (الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج٢- ص ٣٧٩-٤٠٤). ويوجد عدة دراسات حديثية حول هذا الأمر.

خصائص التفسير النبوي:

عندما نتكلم عن خصائص التفسير النبوي فأول ما يعرض لنا هذا السؤال، هل فسر النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كله؟

لقد انقسم العلماء في الجواب عن هذا السؤال إلى فريقين:

الفريق الأول وأدلته: وعلى رأسه شيخ الإسلام ابن تيمية يقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بيَن لهم ألفاظه، ففي مجموع الفتاوى يتكلم ابن تيمية رحمه الله تعالى في مقدمة في أصول التفسير فيقول:

يجب أن يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بيَن لأصحابه معاني القرآن كما بيَن لهم ألفاظه، فيقول تعالى: «لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» (النحل: ٤٤)، يتناول هذا وهذا، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن:

كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

وهذا الأثر مخرَج في العدد السابق فليرجع إليه، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة، وقال أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جلّ في أعيننا، وأقام ابن عمر على حفظ البقرة عدة سنين، قيل: ثمان سنين؛ ذكره مالك، وذلك أن الله تعالى قال: « كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ » (ص: ٢٩)، وقال: « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ » (محمد: ٢٤)، وقال: « أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ » (المؤمنون: ٦٨)، وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال تعالى: « إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » (يوسف: ٢)، وعقل الكلام متضمن لفهمه، ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك، وأيضًا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابًا في فنّ من العلم، كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف كلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم؟. (مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١٣/ ص ٣٣١، ٣٣٢).

كانت هذه هي الأدلة التي استدل بها هذا الفريق على قولهم واستدلوا أيضًا بما أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه، عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «من آخر ما نزل آية الربا، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يُفسرها»، وهذا يدل بالفحوى على أنه كان يفسر لهم كل ما نزل، وإنه إنما لم يفسر هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها. (التفسير والمفسرون، للذهبي، ج١/ ص ٥٥). والحديث رواه ابن ماجه في السنن برقم (٢٢٧٦) وقال البوصيري إسناده صحيح ورجاله موثقون وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ورواه أحمد في المسند برقم (٢٤٦، ٣٥٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده ضعيف لانقطاعه، سعيد بن المسيب لم يسمع من عمر.

الفريق الثاني وأدلته: وعلى رأس هذا الفريق القرطبي والسيوطي وهم يقولون بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر من القرآن إلا آيات معينة ولم يفسر القرآن كله واستدلوا بما يلي:

أولاً: ذَكَر الطبري في تفسيره عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيئًا من القرآن إلا آيات بعدد علمهن إياه جبريل عليه السلام. (تفسير الطبري، ج١، ص ٨٤).

وقال الطبري: إن في إسناده علة، وهي أن أحد رواته وهو جعفر بن محمد الزبيري لا يُعرف في أهل الآثار، ورد عليه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري، أن البخاري ترجم له في التاريخ الكبير فلم يذكر فيه جرحًا، وكذلك ابن أبي حاتم لم يذكر فيه جرحًا، ولم يذكره البخاري ولا النسائي في الضعفاء، ونقل ابن حجر أن ابن حبان ذكره في الثقات، وأن يذكره البخاري في التاريخ دون جرح أمارة توثيقه عنده، وجهان كافيان في الاحتجاج بروايته، ولئن لم يعرفه الطبري في أهل الآثار لقد عرفه غيره (ص ٨٥).

ثانيًا: قالوا: إن بيان النبي صلى الله عليه وسلم لكل معاني القرآن متعذر إلا في آيات قلائل والحكمة فيه أن الله أراد أن يتفكر عباده في كتابه، فلم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالتنصيص على المراد في جميع آياته. (الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج٢، ص ٣٤٩).

ثالثًا: قالوا: لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه كل معاني القرآن لما كان تخصيصه ابن عباس بالدعاء بقوله: «اللهم فقّه في الدين وعلمه التأويل».

فائدة: لأنه يلزم من بيان الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه كل معاني القرآن استواؤهم في معرفة تأويله، فكيف يخصص ابن عباس بهذا الدعاء؟. (التفسير والمفسرون للذهبي، ج١، ص ٥٦، الحديث رواه أحمد في المسند برقم (٢٣٩٧، ٢٨٨١) وقال الشيخ أحمد شاكر في الموضعين إسناده صحيح، ورواه البخاري برقم (١٤٣) ومسلم برقم (٢٤٧٧) ولكن بدون زيادة وعلمه التأويل).

الرد على بعض هذه الأدلة:

استدلال الفريق الأول بقوله تعالى: «لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» (النحل: ٤٤)، لا يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه كل القرآن، فقد كان يبيّن لهم ما أشكل عليهم فهمه من القرآن، وأما الاستدلال بما روي عن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، من أنهم "كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها" فلا يدل على رأيهم؛ لأنه يفيد أنهم فهموا هذه الآيات وقد يكون ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم أو من غيره من إخوانهم من الصحابة رضوان الله عليهم أو من اجتهادهم أنفسهم، وأما أن القرآن شأنه شأن أي كتاب آخر لا بد أن يفهموه ويعرفوا معانيه فيمكن أن يحدث ذلك من غير رجوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم في كل لفظة منه، أما قولهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم مات قبل أن يبيّن لهم آية الربا فلا يدل على رأيهم أيضًا؛ لأنه لعل هذه الآية كانت مما أشكل على الصحابة فكان لا بد من الرجوع فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم شأن غيرها من مشكلات القرآن. (التفسير والمفسرون للذهبي، ج١/ ص ٥٦، ٥٧ بتصرف).

الراجح في هذه المسألة:

والراجح هو رأي الفريق الثاني، فالرسول صلى الله عليه وسلم بين الكثير من معاني القرآن لأصحابه، كما تشهد بذلك الأحاديث الصحيحة المنقولة في ذلك، ولم يبين كل معاني القرآن لأن من القرآن ما أستأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يعذر أحد بجهله، كما صرح بذلك ابن عباس فيما رواه عنه ابن جرير الطبري، قال: (التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره). (رواه ابن جرير الطبري في تفسيره برقم ٧١- ج١ ص ٧٥).

وهذا يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسّر ما يرجح فهمه إلى كلام العرب؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، وكذلك ما تتبادر الأفهام إلى معرفته وهو الذي لا يُعذر أحد بجهالته؛ لأنه لا يخفى على أحد، وكذلك لم يفسر ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وحقيقة الروح وغير ذلك من كل ما هو غيب لم يطلع الله تعالى عليه نبيه، وإنما فسر لهم بعض الأمور الغيبية التي أطلعه الله عليها وأمره ببيانها، وفسر لهم أيضًا كثيرًا مما يندرج تحت القسم الثالث وهو ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم كبيان المجمل وتخصيص العام وتوضيح المشكل، وما إلى ذلك مما خفي والتبس معناه.

هذا والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول رب العالمين.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

صلاة الجمعة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد تكلمنا في اللقاء السابق عن معنى الجمعة، وسبب التسمية وفضائل يوم الجمعة، ونواصل في هذا اللقاء الحديث عن صلاة الجمعة وما يتعلق بها من أحكام ومسائل ونعرض لهذه المسائل تباعًا.

صلاة الجمعة:

زمن مشروعيتها:

يرى الكثير من أهل العلم أن صلاة الجمعة شرعت في أول الهجرة عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، قال الحافظ ابن حجر: "الأكثر على أنها فرضت بالمدينة. وهو مقتضى أن فرضيتها ثبتت بقوله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ »(سورة الجمعة:٩). وهي مدنية. (فتح الباري ٢/٢٣٩).

وقال البعض من أهل العلم: فرضت بمكة قبل الهجرة، لما روى الدار قطني عن ابن عباس قال: «أذن للنبي صلّى الله عليه وسلم في الجمعة قبل أن يهاجر، فلم يستطع أن يجمع بمكة، فكتب إلى مصعب بن عمير: «أما بعد، فانظر إلى اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم، فاجمعوا نساءكم وأبناءكم، فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة، فتقربوا إلى الله بركعتين قال فهو أول من جمّع حتى قدم النبي صلى الله وسلم المدينة فجمّع

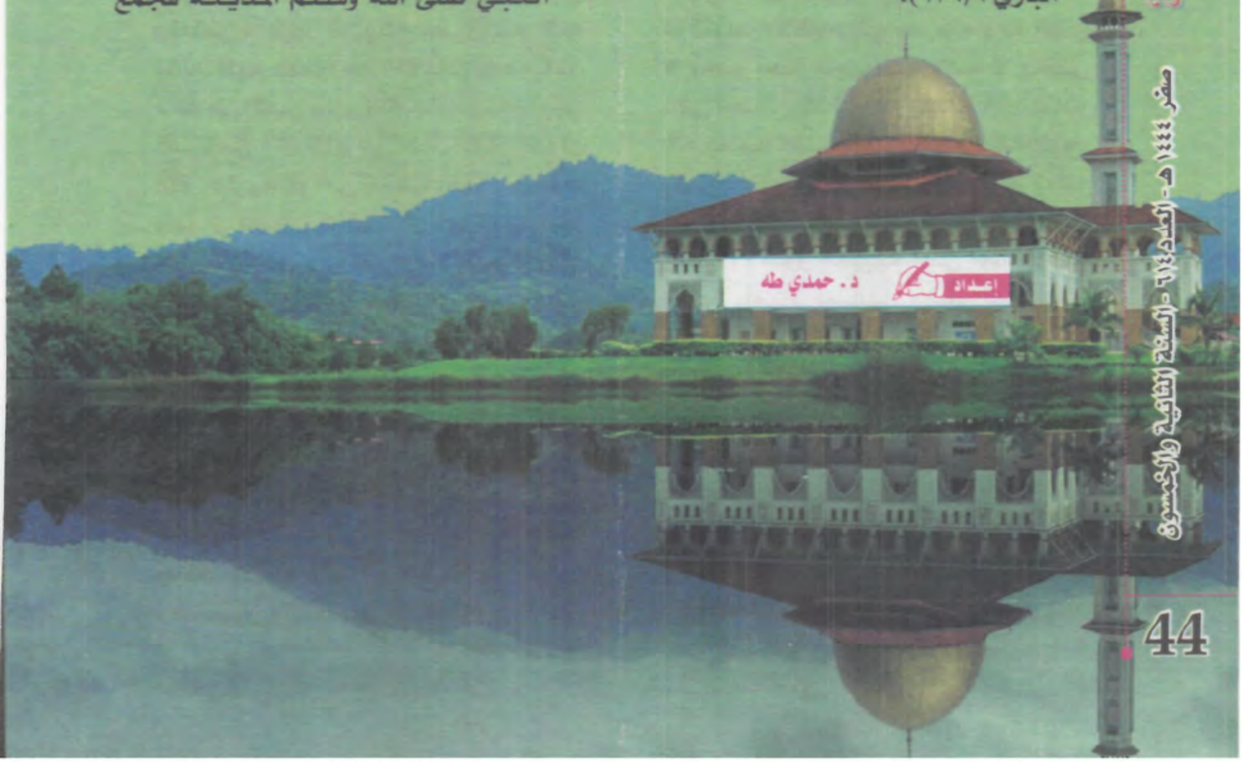

إعداد د. حمدي طه

عند الزوال من الظهر وأظهر ذلك». قال الألباني: سكت عليه الحافظ ولم أره في سنن الدار قطني فالظاهر أنه في غيره من كتبه وإسناده حسن. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ٦٨/٣.

وثبت أيضًا أن أسعد بن زرارة أول من جمَع الناس لصلاة الجمعة في المدينة، وكان ذلك بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له قبل أن يهاجر من مكة، فقد ورد عن كعب بن مالك أنه "كان إذا سمع النداء ترحم لأسعد بن زرارة، وكان يقول: إنه أول من جمَع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له: نقيع الخضمات. رواه أبو داود وحسنه الألباني.

فأول مَن جمَع مصعب بن عمير حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، فجمَع عند الزوال من الظهر. وكان أسعد بن زرارة هو الذي جمَع الناس، وكان مصعب نزيلهم، وكان يصلي بهم، ويقرئهم ويعلمهم الإسلام، وكان يسمى المقرئ، فأسعد دعاهم، ومصعب صلى بهم.

قال الألباني: وجمع الحافظ بينهما بان أسعد كان آمرًا وكان مصعب إمامًا. قلت - الألباني-: ويمكن أن يقال: إن مصعبًا أول مَن جمَع في المدينة نفسها، وأسعد أول مَن جمَع في بني بياضة وهي قرية على ميل من المدينة كما تقدم؛ فلا اختلاف. (إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ٦٩/٣).

فمن رجَح أنها فُرضت بالمدينة بعد الهجرة، استدل بأنه صلى الله عليه وسلم لم يُقِم أيَ جمعة في مكة قبل الهجرة، ومن قال: إنها فُرضت بمكة قبل الهجرة استدل بأن الصحابة قد صلوها في المدينة قبل هجرته عليه الصلاة والسلام؛ فلا بد أن تكون واجبة إذ ذاك على المسلمين كلهم سواء من كان منهم في مكة وفي المدينة، إلا أن الذي منع من أدائها في مكة عدم توافر كثير من شرائطها. قال البكري: "فُرضت بمكة ولم تُقَم بها؛ لفقد العدد، أو لأن شعارها الإظهار، وكان صلى الله عليه وسلم مستخفيًا فيها" (الموسوعة الفقهية).

ومن المتفق عليه: أن أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه، كانت في قبيلة بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ القوم لهم في ذلك الموضع مسجدًا، وذلك عندما قدم إلى المدينة مهاجرًا.

الحكمة من مشروعيتها:

شرع الله تعالى لفريضة الجمعة ألا تؤدَى إلا في جماعة حتى تتحقق الأهداف السامية والآثار الطيّبة التي تفيض منها في حياة الأمة عندما يشهدها المسلمون في كل أسبوع على صعيد كل مدينة، وكل قرية، وكل حي، وكل تجمّع لهم. قال الدهلوي: إنه لما كانت إشاعة الصلاة في البلد بحيث يجتمع لها أهلها متعذرة كل يوم، وجب أن يُعيَن لها ميقات لا يتكرر دورانه بسرعة حتى لا تعسر عليهم المواظبة على الاجتماع لها، ولا يبطؤ دورانه بأن يطول الزمن الفاصل بين المرة والأخرى، كي لا يفوت المقصود وهو تلاقي المسلمين واجتماعهم بين الحين والآخر. ولما كان الأسبوع قدرًا زمنيًا مستعملاً لدى العرب والعجم وأكثر الملل، وهو قدر

متوسط الدوران والتكرار بين السرعة والبطء؛ وجب جعل الأسبوع ميقاتًا لهذا الواجب. (حجة الله البالغة ٢/٢١).

وجوب صلاة الجمعة:

صلاة الجمعة من فرائض الأعيان التي فرضها الله على كل من توفرت فيه شروط وجوبها التي سنذكرها إن شاء الله تعالى، فصلاة الجمعة من الفرائض المعلوم فرضيتها بالضرورة، وبدلالة الكتاب والسنة؛ فيكفر جاحدها، وقد وردت أدلة تقضي بوجوبها، فمن ذلك:

قول الله تبارك وتعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ» (الجمعة: ٩). قال الإمام الكاساني من الحنفية: "ذكر الله" هو صلاة الجمعة، وقيل: هو الخطبة، وكل ذلك حجة؛ لأن السعي إلى الخطبة إنما يجب لأجل الصلاة، بدليل أن من سقطت عنه الصلاة لا يجب عليه السعي إلى الخطبة، فكان فرض السعي إلى الخطبة فرضًا للصلاة؛ ولأن ذكر الله يتناول الصلاة ويتناول الخطبة من حيث إن كل واحد منهما ذكر الله تعالى. (انظر بدائع الصنائع ١/٢٥٦).

وقد استدل الإمام السرخسي -أيضًا- بالآية المذكورة حيث قال: "اعلم أن الجمعة فريضة بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: «فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع»، والأمر بالسعي إلى الشيء لا يكون إلا لوجوبه، والأمر بترك البيع المباح لأجله دليل على وجوبه أيضًا. (المبسوط للسرخسي ٢/٢١).

وأما السنة: فالجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة: عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض. (أخرجه أبو داود من حديث طارق بن شهاب، وصححه النووي، وقال الألباني: إسناده صحيح).

وحديث: "رواح الجمعة واجب على كل محتلم". أخرجه النسائي من حديث حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. وصححه النووي في المجموع، وقال الألباني: إسناده صحيح.

الترهيب من ترك صلاة الجمعة:

وردت أحاديث عدة عن رسول الله تحذِّر وترهِّب من ترك صلاة الجمعة، وترتب الوعيد الشديد على تركها، فمن ذلك:

١- قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لينتهين أقوام عن وَدْعهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين". أخرجه مسلم عن ابن عمر وأبي هريرة - كتاب الجمعة - باب التغليظ في ترك الجمعة.

٢- وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة: "لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أحَرِّقَ على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم" أخرجه مسلم وأخرجه البخاري عن أبي هريرة. قال الإمام النووي: جاء في رواية أن هذه الصلاة التي همَّ بتحريقهم للتخلف عنها هي العشاء، وفي رواية أنها الجمعة، وفي رواية: يتخلفون عن الصلاة مطلقًا، وكله صحيح ولا منافاة بين ذلك. (شرح مسلم ٥/١٥٣-١٥٤).

٣- قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه". أخرجه أبو داود عن أبي الجعد الضمري رضي الله عنه . قال الألباني: حسن صحيح.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

فقه المرأة المسلمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما بعد: فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن قدر ما تستحق البكر والثيب من إقامة الزوج عندها عقب الزفاف، وعن القسم بين الزوجات، وعن الجمع بين زوجتين في بيت واحد. ونستكمل فقه النكاح سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

إعداد **د/عزة محمد رشاد (أم تميم)**

أولاً: العزل:

معنى العزل: هو عزل الماء عن النساء حذر الحمل. النهاية (ص ٦١٣).

قال الإمام النووي: هو أن يجامع فإذا قارب الإنزال نزع وأنزل خارج الفرج. روضة الطالبين (٥/٥٣٧).

حكم العزل، وهل هو حق للمرأة؟

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: جواز العزل، لكن ليس للزوج أن يعزل عن الحرة إلا بإذنها، وإلى هذا القول ذهب جمهور العلماء: أبو حنيفة ومالك والمشهور عن الشافعي وأحمد وابن القيم وغيرهم.

وحجتهم في ذلك:

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة المصطلق فسبينا كرائم العرب فطالت علينا الغربة ورغبنا في الفداء، فأردنا أن نستمتع ونعزل، فقلنا نفعل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا لا نسأله، فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "لاَ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَفْعَلُوا، مَا كَتَبَ اللَّه خَلْقَ نَسَمَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلاَّ سَتَكُونُ» أخرجه البخاري (٥٢١٠)، ومسلم (١٤٣٨)، واللفظ لمسلم.

وفي رواية: «لاَ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَفْعَلُوا فَإِنَّمَا هُوَ الْقَدَرُ» أخرجه مسلم (١٢٨- ١٤٣٨).

٢- وعن عطاء عن جابر قال: «كُنَّا نَعْزِلُ وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ» أخرجه البخاري (٥٢٠٨)، ومسلم (١٤٣٩).

وجه الدلالة:

هذه الحديثان صريحان في جواز العزل؛ حيث علم النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينههم- فتح الباري لابن حجر (٩/٣٠٦).

القول الثاني: تحريم العزل، وإلى هذ القول ذهب ابن حزم وبعض الشافعية.

وحجتهم في ذلك: عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة، قالت: حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم في أُنَاسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ فَنَظَرْتُ فِي الرُّومِ وَفَارِسَ فَإِذَا هُمْ يُغِيلُونَ أَوْلاَدَهُمْ فَلاَ يَضُرُّ أَوْلاَدَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الْعَزْلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: ذَلِكَ الْوَأْدُ الْخَفِيُّ» أخرجه مسلم (١٤١- ١٤٤٢). الغيلة: وطء المرضع. مسلم بشرح النووي (٥/٢٧١). زاد عُبيد الله في حديثه عن المقرئ وهي: «وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ» (التكوير: ٨).

وجه الدلالة: دل الحديث على عدم جواز العزل؛ لأنه صلى الله عليه وسلم جعل العَزْل بمنزلة الوأد إلاَّ أنه خَفي، لأن من يعزل عن امرأته إنما يعزل هَربًا من الولد. عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٠/١٩٥).

أقوال أهل العلم:

أولاً: من قال بجواز العزل:

قال الطحاوي في شرح المعاني (٢/٣٩٤): بعد أن أورد جملة من الآثار، ففي هذه الآثار أيضًا ما

يدل على أن العزل غير مكروه؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبروه أنهم يفعلونه لم ينكر ذلك عليهم، ولم ينههم عنه، وقال: «لا عَلَيْكُم ألاَّ تَفْعَلُوه فإنَّما هُوَ القَدَرُ».

جاء في شرح الموطأ (٢٧١/٣): عن ابن كثير بن أفلح المدني الثقة مولى أبي أيوب الأنصاري عن أم ولد لأبي أيوب الأنصاري أنه كان يعزل؛ لأنه كان يرى الترخيص فيه كزيد وجابر وابن عباس وسعد.

قال ابن عبد البر: وهو قول جمهور الفقهاء.

جاء في الإنصاف (٣٤٧/٨): ولا يُعزل عن الحرة إلا بإذنها ولا عن الأمة إلا بإذن سيدها.

قال البيهقي: وقد روينا الرخصة فيه عن سعيد بن أبي وقاص وأبي أيوب الأنصاري وزيد بن ثابت وابن عباس وغيرهم، وهو مذهب مالك والشافعي وأهل الكوفة وجمهور أهل العلم.

ثانيًا: من قال بعدم جواز العزل:

قال الشيرازي في المهذب (١٠٦/١٨): ويكره العزل، لما روت جذامة بنت وهب... وساق الحديث كما تقدم... إلى أن قال: وإن كانت حرة، فإن كان بإذنها جاز؛ لأن الحق لها.

وإن لم تأذن ففيه وجهان: أحدهما: لا يحرم؛ لأن حقها في الاستمناء دون الإنزال. والثاني: يحرم لأنه يقطع النسل من غير ضرر يلحقه.

قال ابن حزم في المحلى (٢٢٢/٩): ولا يحل العزل عن حرة ولا عن أمة... واستدل بحديث جذامة بنت وهب المتقدم.

تعقيب وترجيح:

والذي ينشرح له الصدر وتطمأن له النفس هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء- منهم الأئمة الأربعة- من إباحة العزل للأحاديث الصحيحة الصريحة التي جاءت بذلك، وليس للزوج أن يعزل عن الزوجة الحرة إلا بإذنها؛ لأن الجماع من حقها ولها المطالبة به، وليس الجماع المعروف إلا ما لا يلحقه عزل، فضلاً عن أن للمرأة حق في الولد كما للرجل حق فيه، والله تعالى أعلم بالصواب.

ثانيًا: حق الزوج على الزوجة:

- وكما أن للزوجة حقًا على زوجها أيضًا فللرجل حق على زوجته، وهذا الحق من أعظم الحقوق بعد حق الله تعالى، والأدلة على عظم حق الزوج جاءت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: «فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّه» (النساء: ٣٤).

قال الإمام القرطبي في تفسيره (١٧٥/٥): هذا كله خبر ومقصوده الأمر بطاعة الزوج والقيام بحقه في ماله وفي نفسها في حال غيبة الزوج. انتهى.

- كما دلت السنة على أهمية طاعة الزوج وعظم حقه على زوجته ما لم يأمرها بمعصية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أحدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَد لأَمَرْتُ المَرْأَة أَنْ تَسْجُدَ لزَوْجِهَا» صحيح سنن الترمذي (١١٥٩)، والجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٨٥/٣).

يحرم على المرأة امتناعها من فراش زوجها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذَا بَاتَتْ المَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا المَلائكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ» أخرجه البخاري (٥١٩٤)، ومسلم (١٤٣٦).

قال الإمام النووي في شرحه للحديث (٢٦١/٥): هذا دليل على تحريم امتناعها من فراشه لغير عذر شرعي، وليس الحيض بعذر في الامتناع؛ لأن له حقًا في الاستمتاع بها فوق الإزار، ومعنى الحديث: أن اللعنة تستمر عليها حتى تزول المعصية بطلوع الفجر والاستغناء عنها أو بتوبتها ورجوعها إلى الفراش.

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه» أخرجه البخاري (٥١٩٥)، ومسلم (١٠٢٦).

ورواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما، ولفظهما: «لا تَصُومُ المَرْأَةُ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ يَوْمًا مِنْ غَيْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ إلاَّ بِإِذْنِه» صحيح سنن أبي داود (٢٤٥٨)، والترمذي (٧٨٢)، وابن ماجه (١٧٦١).

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حرَم على المرأة أن تصوم تطوعًا إذا كان زوجها شاهدًا إلا بإذنه فتمنع بالصوم بعض ما يجب له عليها، فكيف يكون حالها إذا طلبها فامتنعت؟

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ...» الحديث كما تقدم، وقد قال الله تعالى: «فَالصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ» (النساء: ٣٤)؛ فالمرأة الصالحة هي التي تكون قانتة أي:

مداومة على طاعة زوجها فمتى امتنعت عن إجابته إلى الفراش كانت عاصية ناشزة... إلى أن قال: وليس على المرأة بعد حق الله ورسوله أوجب من حق الزوج، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»- صحيح سنن الترمذي (١١٥٩)، والجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٣/٨٥).

إذا تعارضت طاعة الزوج مع طاعة الوالدين، أيهما يقدم على الآخر؟

جاء في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٣٢/٢٦١-٢٦٤): كل طاعة كانت للوالدين انتقلت إلى الزوج ولم يبق للأبوين عليها طاعة، تلك وجبت بالأرحام وهذه وجبت بالعهود كما سنقرر إن شاء الله هذين الأصلين العظيمين.

وسئل رحمه الله عن امرأة تزوجت وخرجت عن حكم والديها، فأيهما أفضل: برها لوالديها، أو مطاوعة زوجها؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين، المرأة إذا تزوجت كان زوجها أملك بها من أبويها وطاعة زوجها عليها أوجب، قال تعالى: «فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ» (النساء: ٣٤)، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا المَرْأَةُ الصَّالِحَة إذا نَظَرْتَ إِلَيْهَا سَرَّتْك، وَإِذَا أمرتَهَا أطاعَتْك وإذا غِبْتَ عَنْهَا حَصنت في نَفْسِهَا وَمَالك»، أخرجه مسلم (١٤٦٧) أوله، وتمامه أخرجه النسائي (٦/٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٩٨).

وفي صحيح ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا صَلَّتْ المَرْأَةُ خَمْسَهَا وَصَامَتْ شَهْرَهَا وَحَفظَتْ فَرْجَهَا وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا دَخَلَت من أيِّ أَبْوَاب الجَنَّة شاءَت»، أخرجه ابن حبان (٤١٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠).

وفي الترمذي عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّمَا امْرَأَة مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاض دَخَلَتْ الجَنَّة»... ضعيف سنن الترمذي (١١٦٤)، وضعيف ابن ماجه (١٨٥٤).

وساق جملة من الأحاديث الدالة على عظم حق الزوج ثم قال: والأحاديث في ذلك كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال زيد بن ثابت: الزوج سيد في كتاب الله، وقرأ قوله تعالى: «وألفيا سيدها لدا الباب» (يوسف: ٢٥).

وقال عمر بن الخطاب: النكاح رِقّ فلينظر أحدكم عند من يرقّ كريمته.

وفي الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اسْتَوْصُوا بالنِّسَاء خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَان»- صحيح سنن الترمذي (١١٦٦)، وابن ماجه (١٨٥١): فالمرأة عند زوجها تشبه الرقيق والأسير، فليس لها أن تخرج من منزله إلا بإذنه سواء أمرها أبوها أو أمها أو غير أبويها باتفاق الأئمة:

وإذا أراد الرجل أن ينتقل بها إلى مكان آخر مع قيامه بما يجب عليه وحفظ حدود الله فيها ونهاها أبوها عن طاعته في ذلك فعليها أن تطيع زوجها دون أبويها فإن الأبوين هما ظالمان، ليس لهما أن ينهياها في طاعة مثل هذا الزوج وليس لها أن تطيع أمها فيما تأمرها به من الاختلاع منه أو مضاجرته حتى يطلقها مثل أن تطالبه من النفقة والكسوة والصداق بما تطلبه ليطلقها فلا يحل لها أن تطيع واحدًا من أبويها في طلاقه إذا كان متقيًا لله فيها، ففي السنن الأربعة وصحيح ابن أبي حاتم عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَيُّما امْرَأة سَألَتْ زَوْجَها الطَّلاَقَ في غَيْرِ مَا بَأْس فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائحَة الجَنَّة»، صحيح سنن أبي داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٩١)، وابن ماجه (٢٠٥٥).

وفي حديث آخر: «المُخْتَلعَاتُ وَالمُنْتَزعَاتُ هُنَّ المُنافقَاتُ»، صحيح الترمذي (١١٨٦)، وأحمد (٢/٤١٤).

وأما إذا أمرها أبواها أو أحدهما في طاعة الله مثل المحافظة على الصلوات وصدق الحديث وأداء الأمانة ونهوها عن تبذير مالها وإضاعته ونحو ذلك مما أمر الله ورسوله أو نهاها الله ورسوله عنه فعليها أن تطيعهما في ذلك، ولو كان الأمر من غير أبويها فكيف إذا كان من أبويها؟

وإذا نهاها الزوج عما أمر الله أو أمرها بما نهى الله عنه لم يكن لها أن تطيعه في ذلك، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّهُ لا طَاعَةَ لمَخْلُوق في مَعْصيَة الخَالق»، صحيح أخرجه أحمد في المسند (٥/٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥٢٠).

وللحديث صلة إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

تعلمتُ في الإصلاح بين الناس

لا تسمع لطَرَف بعيدًا عن الطَرَف الآخر

إعداد **د. جمال عبد الرحمن**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ وبعد:

فإن الإصلاح بين الناس من أعظم الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه جلَّ وعلا، ذلك أن الاختلاف بين الناس أمر واقع ومن سجايا البشر، وذلك لاختلاف أخلاقهم وطبائعهم، ولتنافسهم في حظوظ الدنيا من المال والشرف وغيرهما، قال الله تعالى: «وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ »(هود: ١١٩:١١٨). وفي العادة تكون الخصومة بين طرفين، سواء كان الطرفان زوجًا وزوجته، أو أخًا وشقيقه، أو والدًا وولده. وقد يكون كل طرف مجموعة من الناس، وعندها لابد أن يمثل كل مجموعة رئيسهم أو كبيرهم أو شيخهم الذي يتكلم باسم المجموعة.

وفي هذه المناسبة نذكر كل متخاصم بألا يتمادى في خصومته، بل يسعى إلى الصلح ما استطاع ولا تأخذه العزة بالإثم، ويعاند ويكابر فيخسر دنيا وآخرة، أما خسارته في الدنيا فهي بُغض الله تعالى له، والناس تكره لقاءه وطلعته، وفي الآخرة يخسر المغفرة، إن مات مخاصمًا ومشاحنًا، ولم يدركه عفو الله تعالى. وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّه الأَلَدُّ الخَصِمُ». (صحيح البخاري ح٢٤٥٧).

(والألد الخَصِم): هو المعوج عن الحق، المولَع بالخصومة والماهر بها.

وقد ذمَّ الله تعالى الخصومة والقطيعة بين المسلمين؛ لأنها تتنافى مع مبدأ الأخوَّة الإسلامية، وتوعَّدَ المتقاطعين بأنه لا يغفر لهم، ولا يَقبل منهم عملاً حتى يَصطلحوا؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: " تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فِي كُلِّ إِثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، وَتُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ إِثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِه شَيْئًا، إِلاَّ الْمُتَشَاحِنَيْنِ، يَقُولُ اللَّه لِلْمَلاَئِكَةِ: ذَرُوهُمَا حَتَّى يَصْطَلِحَا" (مسند أحمد ٧٦٣٩. وإسناده صحيح).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أيضًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ " كَانَ يَصُومُ الاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّه إِنَّكَ تَصُومُ الاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ؟ فَقَالَ: " إِنَّ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ يَغْفِرُ اللَّه فِيهِمَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ، إِلاَّ مُتَهَاجِرَيْنِ، يَقُولُ: دَعْهُمَا حَتَّى يَصْطَلِحَا"(رواه ابن ماجه ح ١٧٤٠، صحيح). وقوله: (إلا متهاجرين) أي: متقاطعين لأمر لا يقتضي ذلك. وإلا فالتقاطع للدين ولتأديب الأهل بالهجر في المضجع جائز. "وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام"؛ كما جاء بصحيح البخاري (ح٦٠٧٧).

وقد علَّمنا الإسلام عند القضاء بين المتخاصمين أن يُسمع من الطرفين متواجديْن ومتواجهين، وكما قالوا في المثل أو

الحكمة: "الحجة بدون أختها عوجة" (أي: عوجاء) ولا تكفي للوصول إلى الحقيقة، والقضاء بسماع طرف قبل الآخر يضيع الحق ولا ينصف المظلوم، مهما كان شكل المظلمة الصارخ، ومهما ترجح لدى القاضي بعلمه أو تأثره، فلا يغني ذلك عن سماع الطرف الآخر مواجهة أمام خصمه. وقد عاتب الله تعالى نبيه داود عليه الصلاة والسلام لما استعجل في الحكم للطرف الأول قبل أن يسمع من الطرف الآخر، لمًا رأى شكل المظلمة فظيعًا. قال الله تعالى: «وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥) يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ» (سورة ص: ٢١-٢٦).

قال العلامة السعدي رحمه الله: ذكَرَ الله تعالى نبأ خَصمين اختصما عند نبيه داود عليه السلام في قضية جعلهما الله فتنة (اختبارًا) لداود. وموعظة لخلل ارتكبه، فتاب الله عليه، وغفر له، فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: «وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ» فإنه نبأ عجيب «إِذْ تَسَوَّرُوا» على داود «الْمِحْرَابَ» أي: محل عبادته من غير إذن ولا استئذان، ولم يدخلوا عليه مع باب، فلذلك لما دخلوا عليه بهذه الصورة، فزع منهم وخاف، فقالوا له: نحن «خَصْمَانِ» فلا تخف «بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ» بالظلم «فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ» أي: بالعدل، ولا تمل مع أحدنا «وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ». والمقصود من هذا، أن الخصمين قد عرف أن قصدهما الحق الواضح الصِّرف، وإذا كان ذلك، فسيقصان عليه نبأهما بالحق، فلم يشمئز نبي الله داود من وعظهما له، ولم يؤنبهما. فقال أحدهما: «إِنَّ هَذَا أَخِي» الأخوة في الدين أو النسب أو الصداقة. «لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً». «وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ» فطمع فيها «فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا» أي: دعها لي، وخلها في كفالتي. «وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ» أي: غلبني في القول، فلم يزل بي حتى أدركها أو كاد. فقال داود - لما سمع كلامه - ومن المعلوم من السياق السابق من كلامهما، أن هذا هو الواقع، فلهذا لم يحتج أن يتكلم الآخر: «لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ» وهذه عادة الخلطاء والقرناء الكثير منهم، فقال: «وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ» لأن الظلم من صفة النفوس. «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» فإن ما معهم من الإيمان والعمل الصالح، يمنعهم من الظلم. «وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» كما قال تعالى «وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ» «وَظَنَّ دَاوُدُ» حين حكم بينهما «أَنَّمَا فَتَنَّاهُ» أي: اختبرناه ودبرنا عليه هذه القضية ليتنبه «فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ» لما صدر منه، «وَخَرَّ رَاكِعًا» أي: ساجدًا «وَأَنَابَ» لله تعالى بالتوبة النصوح والعبادة. «فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ» الذي صدر منه، وأكرمه الله بأنواع الكرامات، فقال: «وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى» أي: منزلة عالية، وقربة منا، «وَحُسْنَ مَآبٍ» أي: مرجع. انتهى. (تفسير السعدي، ص: ٧١١).

وموقف آخر مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يرويه جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي أَخَذَ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلرَّجُلِ: «اذْهَبْ، فَائْتِنِي بِأَبِيكَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: إِذَا جَاءَكَ الشَّيْخُ، فَسَلْهُ عَنْ شَيْءٍ قَالَهُ فِي نَفْسِهِ مَا سَمِعَتْهُ أُذُنَاهُ» . فَلَمَّا جَاءَ الشَّيْخُ قَالَ لَهُ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا زَالَ ابْنُكَ يَشْكُوكَ أَنَّكَ تَأْخُذُ مَالَهُ؟» قَالَ: سَلْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ أُنْفِقُهُ إِلاَّ عَلَى إِحْدَى عَمَّاتِهِ أَوْ خَالَاتِهِ أَوْ عَلَى نَفْسِي؟ فَقَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: «إيه، دَعْنَا منْ هَذَا، أَخْبِرْنِي عَنْ شَيْءٍ قَلْتَهُ فِي نَفْسك، مَا سَمعَتْه أُذُنَاكَ» قَالَ الشَّيْخُ: وَاللَّه يَا رَسُولَ اللَّه مَا يَـزَالُ اللَّه يُزِيدُنا بِكَ يَقِينًا، قُلْتُ فِي نَفْسي شَيْئًا مَا سَمعَتْه أُذُنَايَ قَالَ: «قُلْ، وَأَنَا أَسْمَعُ». قَالَ: قُلْتُ:

غَذَوْتُك مَوْلودًا وَصُنْتُك يَافعًا
تُعَلُّ بِمَا أَحْني عَلَيْك وَتَنْهَلُ
إذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْك بِالسُّقْم لَمْ أَبِتْ
لِسُقْمِكَ إلاَّ سَاهرًا أَتَمَلْمَلُ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإنَّهَا
لَتَعْلَمُ أَنَّ المَوْتَ حَتْمٌ مُؤَجَّلُ
كَأَنِّي أَنَا المَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذي
طُرِقْتَ بِه دُونِي فَعَيْنَايَ تَهْمَلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ وَالغَايَةَ الَّتِي
إلَيْهَا مَدَى مَا فِيكَ كُنْتُ أُؤَمِّلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاظَةً
كَأَنَّكَ أَنْتَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي
فَعَلْتَ كَمَا الجَارُ المُجَاوِرُ يَفْعَلُ

قَالَ: فَبَكَى رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ثُمَّ أَخَذَ بِمَنْكِب الابن، وَقَالَ لَهُ: «اذْهَبْ فَأَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ». المعجم الأوسط (٦/ ٣٤٠). (وهذا الحديث بهذا السياق ضعيف، وإن كان موعظة جيدة) وهكذا يظهر من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع شكوى الابن لم يحكم له، بل أمره أن يأتي بأبيه ليسأله عن كلام ابنه ويسمع جوابه، فلما سمعه كان الحكم للأب وليس لابنه.

وغير ذلك كثير فقد كانت النساء تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو أزواجها أو آباءها فيستدعيهم النبي صلى الله عليه وسلم ويحكم بينهم. وكان يحكم بين الرجال الأجانب. من هذا ما جاء عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ، عَنْ أَبِيه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ منْ حَضْرَمَوْتَ وَرَجُلٌ منْ كنْدَةَ إلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّه، إنَّ هَذَا قَدْ غَلَبَنِي عَلَى أَرْض لي كَانَتْ لأَبِي، فَقَالَ الْكِنْدِيُّ: هِيَ أَرْضِي فِي يَدَي أَزْرَعُهَا لَيْسَ لَهُ فيهَا حَقٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ لِلْحَضْرَمِيِّ: «أَلَكَ بَيِّنَةٌ؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَلَكَ يَمِينُهُ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، إنَّ الرَّجُلَ فَاجِرٌ لاَ يُبَالِي عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْه، وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ منْ شَيْءٍ، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ لَكَ منْهُ إلاَّ ذَلكَ» فَانْطَلَقَ لِيَحْلفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ لَمَّا أَدْبَرَ: «أَمَا لَئنْ حَلَفَ عَلَى مَاله لِيَأْكُلَهُ ظُلْمًا، لَيَلْقَيَنَّ اللَّه وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ».

ولأن الرجل الحضرمي لم يكن معه بينة؛ فطبق النبي صلى الله عليه وسلم القاعدة التي أرساها: "الْبَيِّنَةَ على المدَّعي واليمينَ على مَنْ أنكر". (مشكاة المصابيح ح٣٧٥٨. صحيح).

وبنـاءً عليه فـلا يجوز بعد اليمين أن يعترض الطرف الآخـر حتى لو ترجح أن الحالف كاذب، وحسابه عند المنتقم الجبار. واذا حلف المدعَى عليه اليمين ثم أقام المدعي البينة العادلة قُبلَت بينته، ورُدَّت يمين المدعَى عليه لأنـهَ قد تبين كذبها بإقامة البينة العادلة. فإن البينة العادلة بالشاهدين العدلين مقدَّمة على اليمين، كما نص الحديث. وليس للمدعي أن يقول أنا أحلف وآخذ الحق، لأن الحلف خُصَّ بالمدَّعى عليه حال إنكاره.

والنبي صلى الله عليه وسلم في هذا المقام يحذر تحذيرًا شديدًا لمن يتجرأ على حقوق الناس ظلمًا وطمعًا فيقول عليه الصلاة والسلام فيما روته عنه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها: " أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «إنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّته منْ بَعْضٍ، وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ منْ حَقِّ أَخِيه شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْهُ، فَإنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً منَ النَّارِ» (صحيح البخاري ح٢٦٨٠).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلم بِيَمِينه فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّه لَهُ بِهَا النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْه الْجَنَّةَ". فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: " وَإنْ قَضِيبًا منْ أَرَاكٍ " (مسند أحمد ح٢٢٢٣٩. وإسناده صحيح). وقضيب الأراك: هو عود السواك.

وللحديث بقية.

والحمد لله رب العالمين.

قصة الحديث المسلسل بمحبة العنكبوت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد الشيخ علي حشيش

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة

١) وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية -كما سنبين من التخريج- يجعل من لا دراية له بالتحقيق وعلل الحديث يتوهم أن هذه القصة صحيحة.

٢) هذه القصة متنها موضوع، وسندها مختلق مصنوع سلسله واضعه بما لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم سلسلة: «بحب العنكبوت»، وهذا النوع في علوم الحديث يسمى «المسلسل»، ولقد أورده الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (١٨٧/٢) النوع (٣٣) قال: «المسلسل هو ما تتابع رجال إسناده واحدًا فواحدًا على صفة أو حالة للرواة وأحوال الرواة إما أقوال أو أفعال أو هما معًا». اهـ.

٣) هذا الحديث مسلسل بأحوال الرواة القولية، وهو حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبها وقال: جزى الله عز وجل العنكبوت عنا خيرًا، فإنها نسجت علي وعليك يا أبا بكر في الغار، حتى لم يرنا المشركون ولم يصلوا إلينا».

فقد تسلسل بقول كل من رواته: «أنا أحبها منذ سمعت من......».

وذلك من المصنف حتى يصل إلى الراوي الأعلى الصحابي الجليل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٤) وبالبحث في الإسناد- كما سنبين من التخريج والتحقيق- نجد أن إسناد الحديث تسلسل بهذه الحالة القولية لكل من رواته، حتى تكررت خمس عشرة مرة «أنا أحبها- أي أحب العنكبوت».

٥) وإن تعجب فعجب أن هذا التسلسل بقول كل من رواته: «أنا أحب العنكبوت» والذي تكرر خمس عشرة مرة في الإسناد يبني على متن مختلق منكر غريب متعلق أيضًا بالعنكبوت.

٦) قد استقرت أقوال أهل الصناعة الحديثية أنه لا يصح حديث في عنكبوت الغار والحمامتين، وإن اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، في الخطب والمحاضرات، وكذلك ما يكتب في صحف والمجلات بمناسبة هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. وأنه لا يوجد حديث مسلسل بمحبة العنكبوت؛ إلا هذا الحديث الباطل الموضوع.

٧) وإن تعجب فعجب أن هذا الحديث المسلسل بخمسة عشر راويًا بمحبة العنكبوت راويه الأعلى أبو بكر الصديق يقول: لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبها. وقال: «جزى الله عز وجل العنكبوت عنا خيرًا....» الحديث الذي ذكرناه آنفًا؛ فالسند مختلق مصنوع بمسلسل محبة العنكبوت، ومتن منكر باطل مخالف لما ثبت عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حديث الغار في أعلى درجات الصحة؛ فقد أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح (٣٦٥٣)، والإمام مسلم في «صحيحه» ح (٢٣٨١) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «قلت للنبي صلى الله عليه وسلم وأنا في الغار لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما».

وأخرج الإمام البخاري في «صحيحه» (٣٩٢٢) من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: «كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم فقلت: يا نبي الله: لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا قال: «اسكت يا أبا بكر؛ اثنان الله ثالثهما».

٨) فلينظر القارئ الكريم إلى قول أبي بكر الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم «لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا»، «لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا».

ولينظر إلى هذا الحديث المنكر الذي في أشد درجات الضعف- كما سنبين من التحقيق- والمسلسل بمحبة العنكبوت وينسب لأبي بكر أنه قال: «لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبها ودعا لها أن يجزيها الله خير لأنها نسجت عليه وعلى أبي بكر وسدت باب الغار فلم يرهما المشركون ولم يصلوا إليهم».

ثانيا: نقد الشيخ ابن عثيمين لمتن حديث العنكبوت

قال الشيخ محمد الصالح ابن عثيمين في «شرح العقيدة الواسطية» (٤١٣/١) قوله تعالى: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» (التوبة: ٤٠): "هذه المعية خاصة، مقيدة بالنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، وتقتضي مع الإحاطة التي هي المعية العامة النصر والتأييد، ولهذا وقفت قريش على الغار ولم يبصروهما؛ أعمى الله أبصارهم.

وأما قول من قال: فجاءت العنكبوت فنسجت على باب الغار، والحمامة وقفت على باب الغار، فلما جاء المشركون، وإذا على الغار حمامة وعش عنكبوت، فقالوا: ليس فيه أحد فانصرفوا. فهذا باطل، فالحماية الإلهية والآية البالغة أن يكون الغار مفتوحًا صافيًا ليس فيه مانع حسي، ومع ذلك لا يرون من فيه، هذه هي الآية، أما أن تأتي حمامة وعنكبوت تعشش فهذا بعيد وخلاف قوله: «لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا»، المهم بعض المؤرخين- عفا الله عنهم- يأتون بأشياء غريبة شاذة منكرة لا

يقبلها العقل ولا يصح بها نقل".

قلت: وفي نقد الشيخ ابن عثيمين لمتن حديث العنكبوت وبين أنه منكر باطل ردًا على مزاعم المستشرق «شاخت» فيما ادّعاه -جهلاً وبهتانًا- بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي، وهو نقد المتن. اهـ.

ثالثًا: التخريج:

الحديث المسلسل «بمحبة العنكبوت» أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح (١٣٦٩- الغرائب الملتقطة) قال: أخبرنا أبي وقال: أنا أحبها-يعني العنكبوت- منذ سمعت شيخي أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد المراعي، والمطهر بن محمد بن جعفر بأصبهان قالا: «إنا نحبها منذ سمعنا من أبي سعد إسماعيل بدر علي بن الحسين السمان قال: أنا أحبها منذ سمعت من أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن جعفر الصوفي قال: أنا أحبها منذ سمعت من أبي بكر محمد بن محمود الفارسي الزاهد ببلخ قال: أنا أحبها منذ سمعت أبا سهل ميمون بن محمد بن يونس الفقيه قال: أنا أحبها منذ سمعت من عبد الله بن موسى السلامي قال: أنا أحبها منذ سمعت من إبراهيم بن محمد قال: أنا أحبها منذ سمعت من أحمد بن العباس الحضرمي، قال: أنا أحبها منذ سمعت من عبد الملك بن قريب الأصمعي، قال: أنا أحبها منذ سمعت من عون قال: أنا أحبها منذ سمعت من محمد بن سيرين قال: أنا أحبها منذ سمعت من أبي هريرة قال: أنا أحبها منذ سمعت من أبي بكر الصديق، قال: لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبها وقال: «جزى الله العنكبوت عنا خيرًا فإنها نسجت عليَّ وعليك يا أبا بكر في الغار حتى لم يرنا المشركون ولم يصلوا إلينا».

قال أبو منصور الديلمي: وأنا أحبها منذ سمعت والدي يقول هذا الحديث.

رابعًا: التحقيق

١) الحديث المسلسل بمحبة العنكبوت حديث غريب فلا يتوهم من عزو السيوطي هذا الحديث في «الجامع الصغير» ح (٣٥٨٥) إلى أبي سعد السمان في «مسلسلاته» وإلى الديلمي في «مسند الفردوس» أن للحديث طريقين، بل الديلمي إنما أسنده من طريق السمان كما تبين من التخريج.

٢) علة هذا الحديث: عبد الله بن موسى السلامي ذكره الحافظ الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤٨/١٠) ترجمة (٥٢٩٩)، وقال: «في رواياته غرائب ومناكير وعجائب». ولقد بينا آنفًا أن هذا الحديث منكر مخالف للثابت عن أبي بكر الصديق. وبينا أن هذا الحديث غريب فهو من غرائب عبد الله بن موسى السلامي، لذلك قال السيوطي في «تدريب الراوي» (١٨٣/٢): قال أحمد بن حنبل: «لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب فإنها مناكير، وعامتها عن الضعفاء». اهـ.

٣) وقال الحافظ الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤٨/١٠) عن أبي سعد الإدريسي قال: «عبد الله بن موسى السلامي كتب عمن دبَّ ودرج من المجهولين وأصحاب الزوايا. قال: وكان أبو عبد الله بن منده الأصبهاني الحافظ سيئ الرأي فيه». اهـ.

٤) وذكره الإمام الذهبي في «الميزان» (٤٦٢٩/٥٠٨/٢)، وقال: «عبد الله بن موسى السلامي الشاعر صاحب عجائب وأوابد غمزه الخطيب، وروى حديثًا ما له أصل، وسلسله بالشعراء منهم الفرزدق، عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه». وهذا الكذب المسلسل الذي لا أصل له أخرجه الخطيب في «التاريخ» (٩٨/٣): فقصة مسلسل محبة العنكبوت حديثها منكر باطل موضوع غريب.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد **الشيخ علي حشيش**

(٩٦٧) «الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السماوات والأرض».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (ص ١/٤٢) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧).

وقال: «ع ك: عن علي» قلت: «ع» ترمز إلى «مسند أبي يعلى»، و«ك» ترمز إلى «المستدرك للحاكم»، وهذا تخريج بغير تحقيق؛ فيتوهم من لا دراية له أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين حديث كذب مختلق مصنوع.

فالحديث أخرجه الإمام الحافظ أبو يعلى في «المسند» (١/٣٤٤) ح(٤٣٩) قال: حدثنا الحسن بن حماد الكوفي، حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي رضي الله عنه مرفوعًا.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/٤٩٢) قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزاهد الأصبهاني، حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي، حدثنا الحسن بن حماد الضبي وهو الكوفي به.

وعلة هذا الحديث محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني قال الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٦/٢١٠/٥٧٤٠) روى عن جعفر بن محمد الصادق وآخرين، وروى عنه الحسن بن حماد الضبي وآخرون كما في سند هذا الحديث، وبهذا تأكدت العلة حيث زلت فيها أقدام، وضلت فيها أفهام لوجود أكثر من راوٍ اسمه: محمد بن الحسن وهم تسعة رواة في «تهذيب الكمال» اشتركوا في هذا الاسم وهذا النوع يسمى «المتفق والمفترق» أورده السيوطي في «تدريب الراوي» (٢/٣١٦) النوع (٥٤) قال: «قد زلق بسببه غير واحد من الأكابر». اهـ. نعم الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم صحح هذا الحديث متوهمًا أن محمد بن الحسن هو التل فقال في «المستدرك» (١/٤٩٢): «هذا حديث صحيح فإن محمد بن الحسن هو التل وهو صدوق». اهـ.

قلت: والتل هذا ذكره الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (١٦/٢٠٦/٥٧٣٦) وبين أنه لم يرو عن جعفر بن محمد الصادق، ولم يرو عنه الحسن بن حماد.

وبهذا التحقيق تبين أن العلة محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني؛ قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٥١٤/٧٣٨٢): محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني؛ قال ابن معين: ليس بثقة، وقال أحمد: ما أراه يسوى شيئًا، وقال النسائي: متروك، وقال ابن معين أيضًا: كان يكذب، وقال أبو داود: كذاب، ثم ذكر هذا الحديث من مناكيره وقال: «صححه الحاكم وفيه انقطاع». اهـ. هذا ليفرق طالب العلم بين كتابي «التلخيص» و«الميزان» للإمام الذهبي، وبمثل هذا تحقق بعض أهداف هذه السلسلة وهو علم الحديث التطبيقي (الموضوع ثم المتفق والمفترق ثم المنقطع) تطبيقًا في هذا العدد.

الحلقة 11

نماذج تحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة

معتقد الإمام أبي الحسن الأشعري.. من خلال (رسالته إلى أهل الثغر)

الأشعري يواصل نقضه لأصول الأشعرية في التعرف على الله بصفاته.. ويدحض شبه: (القدرية والأشعرية والمرجئة والجبرية والخوارج)، فيما خالفوا فيه معتقد وإجماع أهل السنة.. خلافا لمدعي الانتساب إليه من الأشعرية

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمواصلةً لسرد معتقد أبي الحسن الأشعري - على ما ورد في (رسالة إلى أهل الثغر) وضمن ما أجمع عليه السلف من الأصول وخالف فيه مدعي الانتساب إليه -يذكر رحمه الله- في (الإجماع الـ (الـ١٩، ٢٠) ما نصه:

"وأجمعوا على أنه خالق لجميع الحوادث وحده لا خالق لشيء منها سواه، وقد زجر من لم يعتقد ذلك بقوله: « هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ » (فاطر:٣)، كما زجر من ادَّعى إلها غيره بقوله: « مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ » (الأنعام:٤٦).. وعلى أن جنس استطاعة الايمان غير جنس استطاعة الكفر، من قبَل أن جنس استطاعة الإيمان هُدى وتوفيق يُرَغب إلى الله في فعلها ويُشكر على التفضل بها، واستطاعة الكفر ضلال وخذلان يستعاذ بالله منها ويُسأل العصمة بالهُدى وقوة الإيمان بَدَلَها - يريد: تكذيب من فوَّض الأمور إلى خلقه في أعمالهم واعتقد ألا صنع له في أفعالهم.

وفي (الـ٢١، ٢٢): وأجمعوا على أن الإنسان لا غنى له عن ربه في سائر أوقاته، والرغبة إليه في المعونة على سائر ما أمر به، ممتثلين لما أمرهم به في قوله: «إياك نعبد وإياك نستعين» فلم يفرق بين العبادة وبين الاستعانة.. وأن الإنسان لا يستطيع أن يفعل ما علم الله أنه لا يفعله، وقد نص على ذلك فيما حكاه عن الخضر في قوله لموسى لما لم يصبر معه: «ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرًا» (الكهف: ٧٥) ولم ينكر موسى قوله ولا رد عليه ما ذكره..

وفي (الإجماع الـ٢٣، ٢٤، ٢٥): وأجمعوا على أن الله قد كلف الكفار الإيمان والتصديق بنبيه وإن كانوا غير عاملين بذلك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوضح لهم الدلالة ولزمهم حكم

الدعوة، وأنهم أثموا من قبل: إعراضهم عن تأمل ما دُعوا إلى تأمله من الأدلة التي جعل لهم بها السبيل إلى معرفة وجوب ما دُعوا إليه من النظر في آياته.. وأنهم يستحقون الذم بإعراضهم.. وأن الكافرين غير قادرين على العلم بما دعوا إليه، وأنهم إنما أتوا من جهة: إعراضهم عنه وسوء الاختيار في التشاغل بتركه، وأنهم لو تأملوا أدلة الله التي نبههم نبيه عليها ودعاهم إلى تأملها، لحصل لهم العلم به والقدرة عليه..

وفي (الـ٢٦، ٢٧): وأجمعوا على أن الإنسان لا يقدر بقدرة واحدة على مقدورين - يريد: أن القدرة لابد أن تكون قبل الفعل، ولا يوجد للفعل قدرة تخصه عند القيام به.. وعلى أنه لا يصح تكليف الإنسان الطاعة ونهيه عن المعصية إلا مع: صحة بدنه وسلامة آلات فعله، كما أنه لا يصح أن يُكلف فعلا إلا مع صحة عقله وآلات تمييزه..

وفي (الـ٢٨، ٢٩): "وأجمعوا على أن جميع ما عليه سائر الخلق من تصرفهم، قد قَدَّره الله قبل خلقه لهم، وأحصاه في اللوح المحفوظ لهم وأحاط علمه به وبهم، وأن أحدًا لا يقدر على تغيير شيء من ذلك ولا الخروج عما قدره الله وسبق علمه به - يردُّ بذلك على القدرية في قولهم بالبداءة وأن الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها.. وعلى أنه تعالى تفضل على بعض خلقه بالتوفيق والهدى، وحبب إليهم الإيمان، كما قال: «وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ» (الحجرات: ٧)، فعدَّد بذلك نعمته عليه..

ويقول في (الإجماع الـ٣٠، ٣١): وأجمعوا على أن ما يَقدر عليه تعالى من الألطاف التي لو فعلها لآمن جميع الخلق، غير متناهية، وأن فعل ذلك غير واجب عليه، بل هو متفضل بما يفعله منها، وأنه لم يتفضل على بعض خلقه بذلك كما قال: «وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا» (الأنعام: ١٢٥).. وأنه كان قادرًا على أن يخلق جميع الخلق في الجنة متفضلاً عليهم بذلك، لأنه غير محتاج إلى عبادتهم له، وقادرٌ أن يخلقهم كلهم في النار ويكون بذلك عادلاً، لأن الخلقَ خلقُه والأمرَ أمرُه، ولكنه فعل من ذلك ما أراد، فلا معقب لحكمه ولا رادَّ لقضائه - يريد الرد على المعتزلة القائلين بخلاف ذلك..

وفي (الـ٣٢، ٣٣): وأجمعوا على أنه تعالى لا يجب عليه أن يساوي بين خلقه في النعم، وأن له أن يختص -لحكم يعلمُها- من يشاء منهم بما شاء من نعمه، وقد دل على ذلك قوله: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» وقوله: «أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ» (المائدة: ٤١)، وانما اختلف الفريقان لاختلاف ما أراده الله لهم - في إشارة للرد على القدرية بقولهم: إن الله يجب عليه فعل الأصلح لعباده.. وعلى أنه ليس لأحد من الخلق الاعتراض على الله في شيء من تدبيره ولا إنكار لشيء من أفعاله، إذ هو مالك لما يشاء منها غير مملوك، حكيم قبل أن يفعل سائر الأفعال وجميع ما يفعله لا يخرجه عن الحكمة، وأن من يعترض عليه في أفعاله متبع لرأي الشيطان في ذلك، حين امتنع من السجود لآدم وزعم أن ذلك فساد في التدبير وخروج من الحكمة..

وفي (الـ٣٤، ٣٥): وأجمعوا على أن النبي دعا جميع الخلق إلى معرفة الله وإلى نبوته ونهاهم عن الجهل بالله وعن تكذيبه، وأنه بيّن لهم جميع ما دعاهم إليه من: الإسلام والإيمان وما رغبهم فيه من منازل الإحسان كما في حديث جبريل، وأوضح لهم الأدلة عليه وبيّن لهم الطريق إليه، وأنه عليه السلام قد بين لهم بذلك وقبله: طرق المعارف بحدثهم ودلهم على وجود المحدث لهم، ودلهم على صدقه فيما أنبأهم به عن ربه.. وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية..

وفي (الـ٣٦، ٣٧): وأجمعوا على أن المؤمن بالله وسائر ما دعاه النبي إلى الايمان به، لا يخرجه عنه شيء من المعاصي، ولا يُحبطُ إيمانه إلا الكفر، وأن العصاة من أهل القِبلة مأمورين بسائر الشرائع غير خارجين عن الإيمان بمعاصيهم - كما قالت الخوارج الذين يكفرون بالمعصية والقدرية الذين يوجبون

تعذيب الفاسق إذا مات بلا توبة.. وأنه لا يقطع على أحد من عصاة أهل القبلة في غير البدع بالنار ولا على أحد من أهل الطاعة بالجنة، إلا من قطع عليه رسول الله بذلك، وقد دل الله على ذلك بقوله: « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ » (النساء: ٤٨)، ولا سبيل لأحد إلى معرفة مشيئته تعالى إلا بخبر، وقد قال عليه السلام: (لا تنزلوا أحدًا من أهل القبلة جنة ولا نارًا)..

ويقول في (الإجماع الـ٣٨، ٣٩): وأجمعوا على أن على العباد حفظةً يكتبون أعمالهم، لقوله: « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَٰتِبِينَ » (الانفطار: ١٠، ١١).. وأن عذاب القبر حق، والناس يفتنون في قبورهم بعد أن يَحيَون فيها ويُسألون، فيُثَبِّتُ الله من أحب تثبيته، وأنهم لا يذوقون ألم الموت كما قال: « لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ » (الدخان: ٥٦)، وعلى أنه ينفخ في الصور قبل يوم القيامة ويصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، وعلى أن الله يعيدهم كما بدأهم حفاة عراة غرلاً، وأن الأجساد التي أطاعت وعصت هي التي تبعث يوم القيامة، وكذلك الجلود التي كانت في الدنيا والألسنة والأيدي والأرجل هي التي تشهد عليهم يوم القيامة، وأنه تعالى ينصب الموازين لوزن أعمال العباد فمن ثقلت موازينه أفلح ومن خفت موازينه خاب وخسر، وأن كفة السيئات تهوي إلى جهنم وأن كفة الحسنات تهوي عند زيادتها إلى الجنة، وأن الخلق يؤتون يوم القيامة بصحائف فيها أعمالهم فمن أوتي كتابه بيمينه حوسب حسابًا يسيرًا ومن أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيرًا..

وفي (الـ٤٠، ٤١، ٤٢): وأجمعوا على أن الصراط جسر ممدود على جهنم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك.. وأن الله يُخرج من النار من في قلبه شيء من الإيمان بعد الانتقام منه.. وأن شفاعة النبي لأهل الكبائر من أمته، وعلى أنه يُخرج قومًا من أمته من النار بعدما صاروا حممًا، فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، وعلى أن لرسول الله حوضًا يوم القيامة ترده أمته لا يظمأ من شرب منه ويذاد عنه من بَدّل وغيّر من بعده، وعلى أن الإيمان بما جاء من خبر الإسراء بالنبي إلى السموات واجب، وكذلك ما روي من خبر الدجال ونزول عيسى ابن مريم وقتله الدجال وغير ذلك من سائر الآيات التي تواترت الرواية بين يدي الساعة: من: طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك مما نقله إلينا الثقات عن رسول الله وعرّفونا صحته..

وفي (الـ٤٣، ٤٤): وأجمعوا على التصديق بجميع ما جاء به رسول الله في كتاب الله وما ثبت به النقل من سائر سنته ووجوب العمل بمحكمه والإقرار بنص مشكله ومتشابهه، وردُ كل ما لم يحط علمًا بتفسيره إلى الله مع الإيمان بنصه، وأن ذلك لا يكون إلا فيما كلفوا الإيمان بجملته دون تفصيله.. وعلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأيديهم وبألسنتهم إن استطاعوا ذلك، وإلا فبقلوبهم، وأنه لا يجب عليهم بالسيف إلا في اللصوص والقُطّاع بعد مناشدتهم..

وفي (الخامس والأربعون): وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئا من أمورهم عن رضا أو غلبة وامتدت طاعته من برٍّ وفاجر، لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل، وعلى أن يُغزوا معهم العدو ويُحجُّ معهم، وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها، ويُصلي خلفهم – أو خلف من ينيبونهم –: الجمع والأعياد، وأنه لا يصلي خلف أحد من أهل البدع منهم من أجل أنهم قد فسقوا بالبدع، والإمامة موضع فضل، ولا يصح أن يأتم العدل بالفاسق كما لا يجب أن يأتم القارئ بالأمي: إلا أن يخاف منهم فيصلي معهم وتعاد الصلاة بعدهم..

وفي (السادس والأربعون): وأجمعوا على أن

خير القرون قرن الصحابة ثم الذين يلونهم، وعلى أن خير الصحابة أهل بدر وخير أهل بدر العشرة وخير العشرة الأئمة الأربعة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليٍّ رضوان الله عليهم، وأن إمامتهم كانت عن رضًا من جماعتهم وأن الله ألف قلوبهم على ذلك.. فجمع قلوب المؤمنين على ترتيبهم في التقديم من قِبل أنهم لو قدموا عمر على الجماعة لخرج أبو بكر عما وعده الله به، وكذلك لو قدم عثمان لخرج أبو بكر وعمر؛ لأن الله قد علم أنه يَبقى بعدهما وأنهما يموتان قبله، وكذلك لو قدم عليٌّ على جميعهم لخرجوا من الوعد لعلم الله أنهم يموتون قبله، فرتبهم وألَّف بين قلوب المؤمنين على ذلك لينالوا جميعًا ما وُعدوا به وإن كان كل واحد منهم يعلم ذلك..

وفي (الـ٤٧، ٤٨)؛ وأجمعوا على أن الخيار بعد العشرة في أهل بدر من المهاجرين والأنصار على قدر الهجرة والسابقة، وعلى أن كل من صَحِبَ النبيَّ ولو ساعة أو رآه ولو مرة مع إيمانه به وبما دعا إليه، أفضل من التابعين بذلك.. وعلى الكف عن ذكر الصحابة إلا بخير ما يُذكرون به، وعلى أنهم أحق أن تُنشر محاسنهم ويُلتمس لأفعالهم أفضل المخارج، وأن نظن بهم أحسن الظن وأحسن المذاهب ممتثلين في ذلك لقول رسول الله: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)، وقوله: (لا تؤذوني في أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه).

وفي (الـ٤٩)؛ وأجمعوا على أن ما كان بينهم من الأمور الدنيا لا يُسقط حقوقهم كما لا يُسقط ما كان بين أولاد يعقوب النبي عليه السلام من حقوقهم، وعلى أنه لا يجوز لأحد أن يَخرج عن أقاويل السلف فيما أجمعوا عليه وعما اختلفوا فيه أو في تأويله، لأن الحق لا يجوز أن يخرج عن أقاويلهم..

وفي (الخمسين)؛ وأجمعوا على ذم سائر أهل البدع والتبري منهم، وهو الروافض والخوارج والمرجئة والقدرية، وترك الاختلاط بهم لما رُوي عن النبي في ذلك، وما أمر به من الإعراض عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ (الأنعام:٦٨)، وما روي عن النبي من أن (الخوارج كلاب أهل النار)، ومن قوله: (فرقتان لا تنالهما شفاعتي: المرجئة والقدرية)، وقوله: (القدرية مجوس هذه الأمة) وأنهم الذين يعترضون على الله في مقاديره، ويزعمون أنهم يقدرون على الخروج من علمه وأنهم يخلقون كخلقه، وأن الله لا يضرُّ أحدًا، وقد أجمع المسلمون على أن الله هو من يملك الضر والنفع..

وفي (الـ٥١ والأخير)؛ وأجمعوا على النصيحة للمسلمين والتولي بجماعتهم، وعلى التوادُد في الله، والدعاء لأئمة المسلمين والتبري ممن ذم أحدًا من أصحاب رسول الله وأهل بيته وأزواجه، وترك الاختلاط بهم والتبري منهم" ا.هـ باختصار.

ومعلوم بالضرورة أن الإجماع حجة في دين الله، ومصدر من مصادر التشريع بعد الكتاب والسنة، وبذا يختم الأشعري كلامه قائلاً: "فهذه هي الأصول التي مضى الأسلاف عليها، واتبعوا حكم الكتاب والسنة بها، واقتدى بهم الخلف الصالح في مناقبها.. نفعنا الله وإياكم، والحمد لله رب العالمين" ا.هـ.

تلكم هي مرجعية وعقيدة أبي الحسن الأشعري بنصِّها وفصِّها وبأدلتها العقلية والنقلية، وهي عقيدة السلف وعليها إجماعهم، فلينظر كل امرئ مسلم أين موطئ قدمه منها، إذ بقدر تمسكه بذلك، وبالوحيين وعمله بما فيهما، وتركه طرق الفلاسفة والمبتدعة، بقدر ما يكون من الصواب والعكس، وما أكثر من ضل الطريق في زماننا!، وإلا فأين ذلك ممن يدّعون شرف الانتساب إلى الأشعري والمخالفين في زماننا وهو منهم - بما سقناه له هنا - براء؟، بل وأين الأزهر المؤتمن على أبنائنا من كل ذلك؟.. واللهم هل بلغنا؟ اللهم فاشهد..

والله من وراء القصد وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

دأب الصالحين محاسبة النفس ومداومة العمل

إعداد الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد
إمام وخطيب المسجد الحرام

الحمد لله، الحمد لله الواحد القهّار، يقلِّب الليل والنهار، سبحانه وبحمده، جعَل مواقيتَ للأعمال، ومقاديرَ للأعمار، سخَّر الشمس والقمر، يجريان بحسبانٍ وبمقدار، وأشهد ألَّا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةَ الصدقِ واليقينِ والإقرار، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، بعثه ربُّه بالرحمة والهدى، فوضع عن الأمة الأغلالَ والأصار، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، والتابعينَ ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا مزيدًا إلى يوم القرار.

أما بعدُ: فأوصيكم-أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله-رحمكم الله-، واعلموا أنَّه لا تقوم الدنيا إلا بقيام الدِّين، ولا تُنال العزةُ إلا بالخضوع لربِّ العالمينَ، ولا يصح الدِّين إلا بالإخلاص واتباع سيِّد المرسَلينَ، ومحاسَبة النفس-عبادَ الله- هي طريق السالكين، والتقوى هي زاد المؤمنين، والعمل الصالح هو رأس مال الفائزين، مَنْ حاسَب في الدنيا نفسَه خفَّ في القيامة حسابه، وصح عن السؤال جوابه، وحَسُنَ مُنقَلَبُه ومآبُه، ومَنْ لم يَحاسب نفسَه دامت حسراتُه، وطالت في عرصات القيامة وقفاتُه، وأحاطت به خطيئاتُه وسيئاتُه؛ (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (الزَّلْزَلَة: ٦-٨).

المعنى الصحيح لمحاسبة النفس

معاشرَ المسلمينَ: حقٌّ على مَنْ

أراد الخيرَ لنفسه الوقفةُ الصادقةُ مع النفس محاسبةً ومساءلةً، فوالله لتموتُنَّ كما تنامون، ولتُبعثُنَّ كما تستيقظون، ولتُجزَوُنَّ بما كنتم تعملون، فجنة للمطيعين، ونار للعاصين؛ (أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (فُصِّلَتْ: ٤٠)

عبادَ الله: إنَّ الزمانَ وتقلُّباته أنصحُ المؤدِّبينَ، وإنَّ الدهرَ بقوارعه أفصحُ المتكلِّمينَ، فانتبهوا- رحمكم الله- بإيقاظه، واعتبروا بألفاظه، كما ورَد في الأثر: "أربعةٌ من الشقاء: جمودُ العينِ، وقسوةُ القلب، وطولُ الأملِ، والحرصُ على الدنيا" أخرجه البزار.

معاشرَ الأحبة: في الشباب مَنْ غرَّه شبابُه؛ فنسي فقدَ الأقران، وغفَل عن سرعة المفاجآت، وتعلَّق بالأماني، وما الأماني إلا أوهامُ الكسالى، وأفكار اللاَّهين، وما الاعتماد عليها إلا بضائع الحمقى، ورؤوس أموال المفاليس، والتمنِّي والتسويف إضاعة للحاضر والمستقبل.

الفوائد والثمرات لإخلاص العمل والنيات

أيها الإخوةُ: وفي أهل العِلم مَنْ جدَّ في التحصيل، ولم يجدَّ في العمل، أُعطوا علومًا فصرفوها في المكاثرات والمجادلات، والعلوِّ على الأقران، يُخرِّق دينَه من أجل ترقيع دُنياه، لا يتحاشى غيبةً، ولا يَسلم من حسد. وفي أهل الدنيا مَنْ صرَف أموالَه في الشهوات والمحرَّمات، وأشدُّ هؤلاء مَنْ كسَب مالاً فأدخَلَه النارَ، وورِثَه مَنْ بعده قومٌ صالحون، عَملُوا فيه بطاعة الله، فأدخَلهم الجنة.

أيها المسلمون: عجيب حال مَنْ يُوقن بالموت ثم ينساهُ، ويتحقَّق من الضرر ثم يَغشاه، يَخشى الناسَ والله أحقُّ أن يخشاه، يغترّ بالصحة ويَنسى السَّقَم، ويَفرَح بالعافية ولا يتذكَّر الألمَ، يزهو بالشباب ويغفل عن الهَرَم، يهتمّ بالعلم ويُهمل العمل، يَحرص على العاجل ولا يُفكِّر في الأجل، يطولُ عُمرُهُ وتكثُر ذنوبُه، يبيَضّ شعرُه ويُظلم قلبُه، القلوبُ المريضةُ يَعزّ شفاؤها، والعيون التي تكتحل بالحرام يقلّ بكاؤها، وإذا غرقت الجوارحُ في الشهوات فحَقّ عَزاؤُها.

وإذا كان الأمر كذلك- أيها الأحبة- فعلى صاحب البصر النافذ أن يتزوَّد من نفسه لنفسه، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهرمه، ومن صحته لمرضه، فما بعدَ الموت من مُستعتَب، ولا بعدَ الدنيا سوى الجنة أو النار، ومَنْ أصلح ما بينَه وبينَ ربِّه كفَاهُ ربُّه ما بينه وبينَ الناس، ومَنْ صدَق في سَريرَتِه حَسُنَتْ علانيتُه، ومَنْ عَمِل لآخرته كفاهُ الله أمرَ الدنيا.

أيها المسلمون: والمحاسَبةُ الصادقةُ ما أَورَثَتْ عملاً، فعليك- يا عبدَ الله- أن تستدركَ ما فات بما بقي، فتعيش ساعتَكَ ويومَكَ، ولا تشتغلْ بندم وتحسُّر يَصرفُكَ عن العمل، واعلم أن مَنْ أصلَحَ ما بقيَ غُفِرَ له ما مَضى، ومَنْ أساء فيما بقيَ أُخذ بما مضى وبما بقي، والموتُ يأتي بغتةً، فأعطِ كلَّ لحظة حقَّها، وكلَّ نَفَس قيمتَه، فالأيامُ مَطايا، والأنفاسُ خُطواتٌ، والصالحاتُ هي رؤوسُ الأموال، والربحُ جناتُ عدنٍ، والخسارةُ نارٌ تلظَّى، لا يصلاها إلا الأشقى، وأنتَ- يا عبدَ الله- حسيبُ نفسك.

المداومة على العمل الصالح دأب الصالحين المتقين

فاتقوا الله- رحمكم الله-، وتزوَّدوا في دنياكم ما تحرزون به أنفسكم غدًا؛ فمن اتقى الله نصح نفسه، وقدم توبته، وقاوم شهوته.

عبادَ الله: لا يرجو القبولَ إلا مؤمنٌ بربه وبآياته، عابدٌ مخلِصٌ، وجِلٌ مشفقٌ، يستصغر عباداته، ويستقلّ طاعاته، مُدرِكٌ لجلال الله وعظمته، وعلمه وإحاطته، رقيبٌ في شعائره ومشاعره.

الله الله في أنفسكم عبادَ الله؛ إن المطلوب في الأعمال الصالحة رعاية القلوب في إخلاصها، فالإخلاص- عباد الله وبإذن الله- يُورث القوةَ في الحق، ويُورث الصبر والمثابرة والمداومة، بالإخلاص يتضاعف فضلُ الله، ويَعظُم أجرُه وثوابُه، بل الإخلاص يجعل المباحات طاعات وعبادات وقربات؛ ومِنْ ثَمَّ تكون حياةُ العبدِ كلها لله؛ (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ)(الأنْعام: ١٦٢-١٦٣).

ولا تنسَ- رعاك الله- وأنت تتحرَّى الصالحات المداوَمةَ عليها، ففي الخبر الصحيح من حديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: "سئل رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلَّم-: أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: أدومها وإن قل" (أخرجه البخاري في

كتاب القصد والمداومة على العمل)، وقد كان عمله-عليه الصلاة والسلام- ديمة، يقول الإمام النوويّ-رحمه الله-: "بدوام القليل تستمر الطاعة، ويستمر الذكر والمراقبة والإخلاص، والإقبال على الله، فينمو القليل الدائم، حتى يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة"، ويقول ابن الجوزي-رحمه الله-: "مُداوم الخير مُلازم لخدمة مولاه، وليس مَنْ لازم الباب في وقت كمن لازم يومًا كاملاً ثم انقطع".

وبعدُ عبادَ الله، الموفقون للعمل الصالحون ذوو قلوب مخلصة، وتوحيد خالص، وهمم جادَة، مُوفُون بتكاليف الشرع، بعيدون عنِ الغفلَة والأثـرة، يَسلُكون مسالك الإيثار، يرجون رحمةَ الله ويخافون عذابه: (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا)(الإِسْرَاء: ٥٧).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(غافِر: ١٨-٢٠).

الوصية بالمبادرة بالعمل الصالح

أيها المسلمون: إنَّ في قوارعِ الدهر لعبرًا، وإنَّ في حـوادث الأيـام لمُزدجـرًا، أوقـاتٌ تطوى فتُخرب عـامرًا، وتُعمر قَـفْرًا، تُعير مـرة، وتَسلُب أخـرى، فاحذروا زخارفها المضلة، مَنْ تكثّر منها لم يـزددْ من الله إلا بُعدًا، واعلموا-رحمكم الله- أنَّ مَـنْ لم يشغل نفسَه بالحق تشاغلَتْ بالباطل، والإنـاء إن لم تَشغلْه بالماء شغَلَه الهواءُ، فمَنْ عزَم على حفظ ما بقي له من سُويعات عُمره فلا يُصاحب إلا الجادِّينَ العاملينَ، الأخيارَ النابهينَ، البررةَ الصالحينَ، الذين يَحرصون على أوقاتهم أشدَّ منْ حرْص الشحيح على دراهمه ودنانيره.

جِـدُوا في العـمـل، واعـتـبروا بمـا سلَف، فَالفرصُ تَفُوتُ، والأجلُ موقوتٌ، والإقامةُ محدودةٌ، والأيامُ معدودةٌ، (وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)(المُنَافِقُون: ١١).

أيها الإخوةُ المسلمون: الغفلةُ رأسُ الخطايا، يـقـول الحسـن البـصـريَ-رحـمـه الله-: "الحسنةُ نـورٌ في القلب، وقـوةٌ في البدن، والسيئةُ ظلمةٌ في القلب، ووهنٌ في البدن، وظلمُ المعصية يُطفئ نورَ الطاعة".

ألا فـاتـقـوا الله-رحـمـكـم الله- واحـذروا وحاسبوا: كيف بمَن عـرَف الله فلم يـؤدّ حقَـه؟! وكيف بمَـن يدَّعي محبة رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فلم يعمل بسُنّته؟! وكيف بمَنْ يقرأ القرآنَ ولم يعمل بـه؟ تقلَّبَ في نعم الله فلم يشكرها؟! لم يتخذ الشيطان عـدوا؟! لم يعمل للجَنَّة، ولم يـهـرُب من الـنـار، لم يستعدّ للموت، اشتَغل بعيوب الناس، وغفل عن عيوب نفسه؟! هـذا وأمثاله في غمرة ساهُون، تَستدرجُهم الـنـعـمُ، ويُطغيهم الغنى، ويُلهيهم الأمـلُ، استحوذ عليهم الشيطانُ فأنساهم ذكرَ الله، ولسوف يندمون إن لم يتوبوا، ولاتَ ساعةَ مندم.

هذا وصلّوا وسلموا على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، نبيكم محمد رسول الله، فقد أمركم بذلك ربُّكم فقال عزَّ منْ قائل: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأَحـزَاب: ٥٦)، اللهم صلِّ وسلِّم وبـاركْ على عبدك ورسولك، نبيك محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجـه أمهات المؤمنين، وارض اللهم عن الخلفاء الأربعة الراشدين، وعـن بقية الصحابة أجمعين، والتابعين ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وجودك واحسانك، يا أكرم الأكرمين.

(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)(البَقَرَة: ٢٠١)، (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الصَّافَات: ١٨٠-١٨٢).

الآثار الفقهية لاستخدام الشبكة العنكبوتية في الاعتداء على الدين

د. عبد القادر فاروق محمد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن أهم مقصد من مقاصد الشريعة هو حفظ الدين، ولا يخفى أن من أهم ما يجب أن يُعنى به المسلم الحفاظ على دينه؛ لأنّ حفظ الدين أولى الكليات الخمس في شرع الله تعالى، فالواجب صونه عما قد يُفسده.

المطلب الأول: تعريف الدين لغة واصطلاحًا:

أولاً: تعريف الدين لغة:

يُطلق الدينِ على معانٍ منها: العَادَةُ وَالشَّأْنُ، والجَزَاءُ وَالمكَافَأة، ويومُ الدين: يومُ الجزاء، والطاعَة والإسْلامُ. (تهذيب اللغة ١١/ ١٤٤).

ثانيًا: تعريف الدين اصطلاحًا: "وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إيّاه إلى الصَلاح في الحال والفلاح في المآل. وهذا يشتمل العقائد والأعمال". (اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢/ ٤٧٩).

مكانة حفظ الدين وطُرق حفظه:

والكلام في هذا المطلب عن مكانة الدين، وطُرق حفظه

أولاً: مكانة حفظ الدين:

من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ الدين الذي من أجله خُلقت البشرية، وبه تتحقق السعادة الحقيقية.

ومقصد حفظ الدين على رأس المقاصد الخمسة، ومُقدَّم عليها، ولقد نَصَّ العلماء على ذلك، ومن أقوالهم:

- مقصود الدين مُقدَّم على غيره من مقاصد الضروريات (الإحكام في أصول الأحكام ٤/ ٢٧٦).

- والمصلحة العامة مثلاً في الجهاد لحفظ الدين، مُقدَّمة قطعًا على المصلحة الخاصة في حفظ النَّفْس والمال، ولذلك شُرِع الجهاد في سبيل الله تعالى لإقامة الدين والحفاظ عليه، مع ما فيه من تعريض النَّفْس والمال للقتل والهلاك والخطر. (الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، تأليف: د/محمد مصطفى الزحيلي ص١٢٥).

- وما به يكون حفظ الدين مُقدَّم على ما يكون به حفظ النفس عند تعارضهما، وما به يكون حفظ النفس مقدم على ما يكون به حفظ العقل وهكذا.... (رعاية المصلحة والحكمة في تشريع نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، تأليف: محمد طاهر حكيم ص٢٤٤).

ثانيا: طرق حفظ الدين:

لأجل الحفاظ على هذا الدين شرع الله تعالى الوسائل والأحكام التي تُقويه وتنميه، وسد

الذرائع التي تُضعفه وتُفنيه. ففي الجانب الأول أمر بالإيمان والعمل الصالح، والتآخي عليه، والصبر على الأذى فيه، والدعوة إليه، والجهاد دفاعًا عنه وإعلاءً لرايته، والهجرة من البلد الذي لا يأمن على دينه فيه. (نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، تأليف: د. أحمد الريسوني ص١٢٦).

وفي الجانب الثاني نهى عن مخالطة أهل البدع، وحذر من النظر في كتب الإلحاد، ورتب العقوبة الرادعة لمن تلاعب بهذا الدين، فشرع حد الردة وهو القتل؛ حفظًا لدين المرء الذي هو أعز ما يملك، وأغلى ما يحمل في هذه الحياة.

وحفظ الشريعة للمصالح الضرورية وغيرها، يتم على وجهين، يُكمل أحدهما الآخر، وهما:

١- حفظها من جانب الوجود، أي بشرع ما يحقق وجودها وتثبيتها، ويرعاه.

٢- حفظها من جانب العدم، أي بإبعاد ما يؤدي إلى إزالتها، أو إفسادها، أو تعطيلها، سواء كان واقعًا أو متوقعًا.

- فحفظ الدين مثلاً، تُحققه من جانب الوجود العقائد الأساسية، والعبادات الرئيسة، من صلاة وزكاة. ويُحفظ من جانب العدم بالجهاد، وقتل المرتدين، ومنع الابتداع. وأحكام العادات والمعاملات تؤدي إلى حفظ بقية الضروريات من جانب الوجود، وأحكام الجنايات تؤدي إلى حفظها في جانب العدم.

-ومن أجل حفظ الدين: شرع الله تعالى حد الردة وغيره من موجبات القتل، لأجل مصلحة الدين، والقتال في جهاد أهل الحرب. (البحر المحيط في أصول الفقه (٢٦٦/٧).

-ومصلحة حفظ الدين تكون بإقامة شعائره وفرائضه وإحياء معالمه وتعاليمه، وكذلك العمل على إبعاد ما يخالف دين الله ويعارضه، كالبدع ونشر الكفر، والرذيلة والإلحاد، والتهاون في أداء واجبات التكليف. ومن أجل حفظ الدين شرع الإيمان والنطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج، وسائر الأعمال والأقوال التي تحقق الدين في النفوس والحياة، كالأذكار والقربات والوعظ والإرشاد والنصح وبناء المساجد والمدارس، وتبجيل العلماء والمصلحين والدعاة وغير ذلك. (علم المقاصد الشرعية، تأليف: أ. د/ نور الدين بن مختار الخادمي، ص٢٢، ٨٢).

٣- ويتم حفظ الدين عن طريق التواصل الإلكتروني بما يأتي:

- يجب على المكلف ألا يتعرض لما يُفسد عليه اعتقاده، أو يتصدى لما يُضعف عليه إيمانه، ويُلبّس عليه أحكام الشرع، ويدخله في الريب والشك، ويسلبه نعمة الدين بتعرضه لهذه الحسابات وتكراره الدخول عليها، وعليه أنْ يلتزم:

أولا: ترك التعرض لمن ينتهك حُرمات الله - تعالى -من كفار، ومُشركين أو مُلحدين، وعليه تعظيم حرمات الله تعالى في جميع تصرفاته.

ومن مظاهر انتهاك حُرُمات الله تعالى الحسابات الموجودة ببرامج التواصل الإلكتروني، والشبكة العنكبوتية، ما يلي:

-دعوات الإلحاد والردة من بعض أصحاب الصفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، وبعض المواقع، وانتهاكهم لحرمات الله - تعالى - بالقول والفعل، وتمزيقه للمصحف، أو المجاهرة بالإفطار في نهار رمضان عبر وسائل التواصل، أو بعض المواقع.

-بث صور تمتهن شعائر الدين وأحكامه.

-الاستخفاف بالحُرمات، كحُرمة الحرم، فإنه موجب لسخط الله تعالى وعذابه. قال الله تعالى: «وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» (سورة الحج من (الآية ٢٥).

-الابتعاد عن أصحاب الصفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، وبعض المواقع التي تقوم بأعمال الدجل والسحر، وتغرير العوام، وإيقاعهم في الشرك.

ثانيًا: إنكار الفتاوى الصادرة من غير أهلها، أو من أهلها لكنها شاذة. (التواصل الاجتماعي الإلكتروني من منظور فقهي دراسة في الأحكام والضوابط والآثار الشرعية، تأليف: نوف بنت محمد المسما، ص١٣٧: ١٣٩، الناشر: مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

أمك، ثم أمك، ثم أمك

الشيخ/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه. أما بعد: فبر الوالدين فريضة لازمة، وفضيلة جازمة، وجوبها حتم، وأداؤها عَزم، لا عُذر لأحد في التساهل بها، والتهاون بشأنها، وقد أوجب الإسلام على الأبناء بر الوالدين- مهما كانوا عليه من أوضاع- غنيَيْن أو فقيرين، مؤمنَيْن بالله أو كافرَيْن، محسنَيْن للأبناء أو مسيئَيْن، طالما لم يأمراه بمعصية الله عز وجل.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت أمي- وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: قدمت علي أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نعم صلي أمك». (البخاري: (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).

هذا ما يكون من عناية الإسلام بالوالدين على العموم، وانك لواجد بعد ذلك هالة من القداسة والإعزاز، تلك التي توج الإسلام بها الأم إكرامًا لها وتنويهًا بشأنها وقيامًا بحقها وجبرًا لخاطرها ومراعاة لضعفها وحفاظًا على دورها في التربية. لذا فإني أجد دليلاً يبين متى يجزي الابن أبيه؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجزي ولد والدًا إلا أن يجده مملوكًا، فيشتريه فيعتقه». (مسلم: ١٥١٠).

ولم أجد فيما أعرف دليلاً يبين إمكانية أن يجزي الابن أمه وكيف لا؟ وقد حملتك أمك في أحشائها تسعة أشهر، وهنًا على وهن، حملتك كرهًا، ووضعتك كرهًا، ولا يزيدها نموك إلا ثقلا وضعفًا، وعند الوضع رأت الموت بعينها، قال الله تعالى: «وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا» (الأحقاف: ١٥).

وقال تعالى: «وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ» (لقمان: ١٤)، ولكن لما بصرت بك إلى جانبها سرعان ما نسيت آلامها، وعلقت فيك جميع آمالها - بعد الله سبحانه- رأت فيك بهجة الحياة وزينتها، ثم شغلت بخدمتك ليلها ونهارها، تغذيك بصحتها، طعامك درها، وبيتك حجرها، ومركبك يداها، تجوع لتشبع أنت، وتسهر لتنام أنت، فهي بك رحيمة، وعليك شفيقة، إذا غابت عنك دعَوْتها، وإذا أعرضت عنك ناجيتها، وإذا أصابك مكروه استغثت بها، تحسب كل الخير عندها، وتظن أن الشر لا يصل إليك إذا ضمتك إلى صدرها، أو لحظتك بعينها.

ولطالما كانت تمسح عنك الأذى بيمينها، وتسهر عليك إذا اشتكيت، فلا تنام حتى تنام، ولا تستريح حتى تستريح؛ من أجل ذلك جعل الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم: «للأم ثلاثة أرباع البر والطاعة وللأب ربع واحد»؛ لأنها حقل الإنبات الإنساني، وموئل الفيض الرباني والمدرسة التي يتربى فيها الطفل فيأخذ من روحها وحنانها فكانت- وما زالت- مهد الطفولة الناشئة.

إن عمل الأم الجميل ودورها الأصيل يبدأ حين يصير الإنسان جنينًا في بطنها ثم يولد طفلاً صغيرًا لا يعرف شيئًا من أمور الحياة ثم صار فتى يافعًا وهي في كل هذه الأطوار تلازمه بحنانها وتعطف عليه بقلبها وتلاطفه بفؤادها ولا يفارقه قلبها حيثما حل وأينما سار.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك». (متفق عليه: البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).

ثلاث أرباع البر جعلت للأم وحدها فكانت لفتة جميلة من الحديث انتظمت مع الآية الكريمة: «وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» (الأحقاف: ١٥).

«حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا» هذه واحدة، «وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا» هذه ثانية، «وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» هذا ثالثة- ثلاثة أعمال شاقة وكريمة في وقت واحد وكان لكل واحد منها ربع البر والإحسان.

إن الإنسان مهما أحسن إلى أمه فلن يوفيها حقها، ولن يستطيع أن يعوضها عن تلك السنين التي أفنتها في خدمته وتربيته، ولك أخي أن تتخيل هذا الموقف.

عن أبي بردة أنه شهد ابن عمر رضي الله عنهما، ورجل يماني يطوف بالبيت-حمل أمه وراء ظهره- وهو يقول:

إني لها بعيرها المذلل
إن أذعرت ركابها لم أذعر

ثم قال: يا ابن عمر: أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة. (صحيح الأدب المفرد ٩).

معنى: ولا بزفرة واحدة: المرة من الزفير وهو تردّد النفس حتى تختلف الأضلاع، وهذا يعرض للمرأة عند الوضع.

سبحان الله: هذا التعب الذي تحمله الرجل وهو يحمل أمه على ظهره ويؤدي بها المناسك، وهذه المشقة والإعياء والمعاناة ولك أن تتخيل الحرم وقد اكتظ بالطائفين، والزحام خانق، فظن الرجل أنه بذلك قد كافأها، ورد إليها حقوقها. فقال له ابن عمر رضي الله عنهما: «لا، ولا بزفرة واحدة»، لا يفي بزفرة واحدة من زفرات الأم التي تعرضت لها عند الوضع، فكيف بإحسانها كله إليك، وكيف بتاريخها الطويل معك ومع إخوتك وأخواتك؟

وقال رجل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن لي أمًا بلغ بها الكبر، وأنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري مطية لها، فهل أديت حقها؟ قال: لا، لأنها كانت تصنع بك ذلك، وهي تتمنى بقاءك، وأنت تصنعه وتتمنى فراقها.

ولقد جعل الإسلام بر الأم من أسباب السعادة في الدارين فهو من أسباب مغفرة الذنوب.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني أصبت ذنبًا عظيمًا فهل لي توبة؟ قال: «هل لك من أم؟»، قال: لا، قال: «هل لك من خالة؟» قال: نعم، قال: «فبرَها». (صحيح الترغيب (٢٥٠٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة، فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري، فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا، قال: تب إلى الله عز وجل، وتقرب إليه ما استطعت.

قال عطاء بن يسار: فذهبت، فسألت ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: «إني لا أعلم عملاً أقرب إلى الله عز وجل من بر الوالدة». (رواه البخاري في «صحيح الأدب المفرد» (٤/٤)، والصحيحة (٢٧٩٩).

من أسباب دخول الجنة:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نمت،

فرأيتني في الجنة، فسمعت صوت قارئ يقرأ، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا حارثة بن النعمان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذاك البر، كذاك البر». وكان أبر الناس بأمه. (رواه أحمد (٦/١٥١)).

وعنها أيضًا رضي الله عنها قالت: كان رجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبر من كان في هذه الأمة بأمهما: عثمان بن عفان، وحارثة بن النعمان رضي الله عنهما، أما عثمان: فإنه قال: ما قدرت أتأمل وجه أمي منذ أسلمت، وأما حارثه: فكان يطعمها بيده، ولم يستفهمها كلامًا قط تأمر به، حتى يسأل من عندها بعد أن يخرج: ماذا قالت أمي؟. (التبصرة (١/١٨٨)).

سبحان الله، هل اعتبر واتعظ أبناء اليوم؟

وعن طلحة بن معاوية السلمي رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إني أريد الجهاد في سبيل الله. قال: «أمك حية؟». قلت: نعم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الزم رجلها فثم الجنة». (صحيح الترغيب (٢٤٨٤)).

وعن معاوية بن جاهمة: أن جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك. فقال: «هل لك من أم؟» قال: نعم، قال: «فالزمها، فإن الجنة عند رجلها». (صحيح الترغيب (٢٤٨٥)).

وهذا رجل قال: أصبت ذنوبًا لا أراها إلا من الكبائر، فذكرت ذلك لابن عمر رضي الله عنهما، قال: ما هي؟ قلت: كذا وكذا، قال: ليست هذه من الكبائر، هن تسع: الإشراك بالله، وقتل نسمة، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والحاد في المسجد، والذي يستسخر، وبكاء الوالدين من العقوق. قال لي ابن عمر: «أتفرق من النار» أي: أتخاف وتفزع، وتحب أن تدخل الجنة؟ قلت: أي، والله. قال: أحي والداك؟ قلت: عندي أمي. قال: فوالله، لو ألنت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر. (رواه البخاري في صحيح الأدب المفرد: (٨)، والصحيحة (٢٨٩٨)).

هل سنلين الكلام بعد اليوم مع الأمهات يا أبناء؟

من أسباب إجابة الدعاء:

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل». (مسلم (٢٥٤٢)). الله أكبر، عمر الفاروق الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك». (مسلم ص(١٦٥) فضائل عمر).

عمر الفاروق أحد العشرة المبشرين بالجنة يطلب من أويس التابعي أن يستغفر الله له، ترى ما الذي سما بهذا التابعي الجليل، وما الذي وصل به إلى تلك الرتبة العلية؟

إن الذي أوصله إلى تلك المكانة السامية والدرجة العلية، والذكر الحسن وشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم له الذي أوصله ذلك بره بأمه، فهكذا البرّ يصنع بالأبرار.

وجعل الإسلام طاعة الأم وبرها مقدمًا على بعض أنواع العبادة، فللإنسان أن يقطع صلاة النفل كي يجيب أمه إذا دعته، وإن لم يفعل فقد أغضبها، وبهذا يكون قد أغضب ربه كما في حديث جريج العابد حين دعته أمه وهو يصلي فلم يجبها، وتكرر النداء فلم يجبها فتدعو عليه أن يرى وجوه المومسات وقد كان. (والحديث متفق عليه: البخاري: (٦/٤٧٦)، ومسلم (٥/٤١٤)).

من صور البر في الحياة:

هذا أبو هريرة رضي الله عنه بعد أن أسلمت أمه كان رضي الله عنه إذا دخل عليها صاح بأعلى صوته: «عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمتاه. تقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. يقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرًا، فتقول: يا بني، وأنت فجزاك الله خيرًا ورضي عنك، كما بررتني كبيرًا». (متفق عليه: البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣)).

من صور البر بعد الممات:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت. فأحج عنها؟ قال: «نعم، حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء». (البخاري (١٨٥٢)).

وعنه أيضًا رضي الله عنه أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أمه توفيت أينفعها أن تصدقت عنها؟ قال: «نعم» قال: فإن لي مخرافًا (بستانا)، فأنا أشهدك أني قد تصدقت به عنها. (البخاري (٢٧٧٠).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أمي افتلتت نفسها، وأراها لو تكلمت تصدقت، أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم تصدق عنها». (متفق عليه: البخاري (٢٧٦٠)، ومسلم (٤/١٦٦).

وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها؟ قال: «أرأيت كان على أمك دين فقضيته أكان يؤدي ذلك عنها؟». قالت: نعم، قال: «فصومي عن أمك». (متفق عليه: البخاري (١٩٣٥)، ومسلم ص(٨٠٤).

وعن بريدة رضي الله عنه قال: بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتته امرأة فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية، وإنها ماتت، فقال: «وجب أجرك وردها عليك الميراث» قالت: إنها لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال: «حجي عنها». (مسلم (١١٤٩).

سبحان الله المتأمل في هذه الأحاديث يجد أن معظم من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله عن بر الأم من النساء.

فهل تذكر كل منا أمه فحج عنها أو اعتمر أو تصدق؟ أو على الأقل دعا الله لها، واستغفر لها.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول: يا رب، أنّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك». (أحمد (٢/٥٠٩).

يظن البعض أن بر الوالدين مجاله الحياة الدنيا فإذا ما انتهت حياتهما في الدنيا فقد تحلل الشخص من هذا الواجب، وذلك خطأ مبين، فإن بر الوالدين على خلاف ذلك؛ إنه يمتد إلى ما بعد الوفاة.

«الدعاء لهما، والاستغفار لهما، وانفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما».

ويخطئ البعض حين يقطع أمه طوال العام بل قد يسبها ويفضل زوجته وأولاده عليها، ثم هو يذهب إليها يومًا في السنة حاملاً بين يديه شيئًا من الهدية، ويظن أنه بذلك بارّ بأمه، ومخافة أن يأثم في ظنه، ولم يعلم المسكين أن كل لحظة عق أمه أو أباه، بالكلام أو بالسب، أو بالقطيعة ولو بالنظرة الحادة فإنه آثم عاص لله مرتكب كبيرة من أكبر الكبائر، والجنة عليه حرام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة»، وذكر صلى الله عليه وسلم: «والعاق». (صحيح الترغيب (٢٥١٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة، من البغي وقطيعة الرحم». (صحيح الجامع (٥٧٠٤).

عن محمد بن سيرين قال: كنا عند أبي هريرة ليلة فقال: «اللهم اغفر لأبي هريرة، ولأمي، ولمن استغفر لهما». قال محمد، فنحن نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة. (صحيح الأدب المفرد، للإمام البخاري (٢٨).

والحمد لله رب العالمين.

يمر الأستاذ الفاضل: جمال سعد حاتم مستشار التحرير، ورئيس تحرير مجلة التوحيد السابق بوعكة صحية.

وأسرة تحرير المجلة وأعضاء مجلس إدارة المركز العام يدعون الله عزوجل أن يجمع له بين الأجر والعافية.

اللهم أذهب البأس ربّ النّاس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا.

أذهب البأس ربّ النّاس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت يارب العالمين.

أقوال الفقهاء فيما يجوز للمرأة أن تنظر إليه من بدن الأجنبي

إعداد المستشار/أحمد السيد علي عبده

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه. وبعد:

أولا: إذا كان النظر بشهوة بقصد التلذذ:

لا يجوز للمرأة أن تنظر إلى الرجل الأجنبي بشهوة بقصد التلذذ، ولا يجوز لها ذلك ولو كان النظر إلى أي عضو من أعضائه سواء كان عورة أم لا، وسواء علمت بوقوع الشهوة منها، أو غلب على ظنها وقوعها، أو شكت في ذلك، بأن كان احتمال حدوث الشهوة وعدم حدوثها متساويين؛ لأن النظر بشهوة إلى من لا يحل بزوجية، أو ملك يمين، نوع زنا، وهو حرام عند جميع الفقهاء، وهو مذهب الحنفية في الصحيح، والمالكية، والشافعية، والحنابلة.

وقال محمد بن الحسن الشيباني في "كتاب الأصل" أنه يستحب للمرأة أن تغض بصرها عما سوى العورة من الرجل، إذا علمت وقوع الشهوة، أو غلب على ظنها ذلك، أو شكت فيه، بمعنى أن نظرها في هذه الحالة يكون مكروهًا وليس محرمًا، بخلاف الرجل، فإن نظره إلى ما يحل له النظر إليه من المرأة بدون شهوة يحرم إذا كان مع الشهوة، أو غلب على ظنه وقوعها، أو شك في ذلك.

ثانيا: إذا كان النظر بغير شهوة:

أما إذا كان نظر المرأة إلى الأجنبي بغير شهوة يقينًا، فقد اختلف الفقهاء فيما يحل لها النظر إليه منه وما لا يحل، على أربعة أقوال:

القول الأول: يجوز للمرأة أن تنظر إلى كل الرجل الأجنبي سوى عورته؛ فتنظر إلى كل جسده ما فوق السرة وتحت الركبة، لاتفاقهم على أن ذلك ليس بعورة من الرجل، وأما السرة، والركبة، والفخذ منه، ففي كونها من العورة خلاف بين الفقهاء، فمن اعتبر شيئًا من ذلك عورة، قال بعدم جواز نظر المرأة إليه، ومن لم يعتبره كذلك، قال بالجواز، وهو مذهب الحنفية في الأصح، والشافعية في الأصح أيضًا، والحنابلة في المذهب.

أدلتهم:

أولا: من السنة النبوية:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «رَأَيْتُ النبِيَّ صَلَّى الله عليه وسلم يَسْتُرُنِي بردائه، وأنا أَنْظُرُ إلى الحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ في المَسْجِدِ، حتَّى أَكُونَ أنا

الَّتي أسَأمُ، فاقْدُرُوا قَدْرَ الجاريَة الحديثة السِّنِّ، الحَريصَة على اللَّهو" (رواه البخاري).

وجه الدلالة: قولها «وأنا أنْظُرُ إلى الحبَشة يَلْعَبُونَ في المَسْجد» دليل على جواز نظر المرأة للرجل الأجنبي فيما سوى السرة إلى الركبة.

٢- عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: أنَّ أبا عمرو بنَ حفصٍ طلَّقها البتَّة وهو غائبٌ، فأرسل إليها وكيلُه بشعير، فتسَخَّطتْه، فقال: والله ما لكِ علينا من شيءٍ، فجاءَت رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فذكرت ذلك لَهُ، فقال لها: ليسَ لك عليه نفقةٌ، وأمرَها أن تعتدَّ في بيت أمِّ شريك، ثمَّ قال: إنَّ تلك امرأةٌ يَغشاها أصحابي، اعتَدِّي في بيت ابن أمِّ مَكْتوم، فإنَّهُ رجلٌ أعمى، تَضعينَ ثيابَك، وإذا حلَلتِ فآذنيني. قالَت: فلمَّا حللتُ، ذَكرتُ لَهُ أنَّ معاويةَ بنَ أبي سفيانَ وأبا جَهْمٍ خطباني، فقالَ رسولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ: أمَّا أبو جَهْمٍ، فلا يَضَعُ عصاهُ عن عاتقه، وأمَّا مُعاويةُ فَصعلوكٌ لا مالَ لَهُ، انكحي أسامةَ بنَ زيدٍ، قالت فكرِهْتُهُ، ثمَّ قال: إنكحي أسامَةَ بنَ زيدٍ فنَكَحتُهُ، فجعلَ الله تعالى فيه خيرًا كثيرا، واغتَبطتُ بهِ» (رواه أبو داود، وصححه الألباني).

وجه الدلالة: قوله صلى الله عليه وسلم: «اعتَدِّي في بيت ابنِ أمِّ مَكْتوم، فإنَّهُ رجل أعمى، تَضعينَ ثيابَكِ» يدل على جواز نظر المرأة لبدن الرجل ما عدا ما بين السرة إلى الركبة.

٣- عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَابس قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاس قيلَ لَهُ: «أَشَهِدْتَ العيدَ مع النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، ولَوْلا مَكَاني منَ الصِّغَرِ ما شَهِدْتُهُ حتَّى أتَى العَلَمَ الذي عِنْدَ دَارِ كَثيرِ بنِ الصَّلْتِ، فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ، ثُمَّ أتَى النِّسَاءَ ومعهُ بلاَلٌ، فَوَعَظَهُنَّ، وذَكَّرَهُنَّ، وأمَرَهُنَّ بالصَّدقَة، فرَأيْتُهُنَّ يَهْوِينَ بأَيْديهنَّ يَقْذِفْنَهُ في ثَوْبِ بلاَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ هو وبلاَل إلى بَيْته" (رواه البخاري).

وجه الدلالة: أن رؤية النساء لبلال، وقذفهن بصدقتهن في ثوبه دليل على رؤيتهن له، فيجوز للمرأة النظر للرجل الأجنبي.

ثانيًا: من المعقول:

قالوا:

١- إن النساء لو منعن من النظر إلى الرجال مطلقًا؛ لوجب على الرجال الحجاب، كما وجب على النساء.

٢- ولأن ما ليس بعورة يستوي في حكم النظر إليه الرجال والنساء ما دام بغير شهوة، كالثياب، والدواب، فكان للمرأة أن تنظر من الرجل ما ليس عورة، كما له أن ينظر منها ما ليس بعورة عند عدم الخوف من الفتنة.

٣- إن النساء كن يحضرن الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد، ولا بد أن يقع نظرهن إلى الرجال، فلو لم يجز لم يؤذن لهن بحضور المسجد والمصلى.

القول الثاني: إن لها أن تنظر منه مثل ما يحل له النظر إلى محارمه: وهو مذهب الحنفية في مقابل الصحيح، وهي رواية الأصل لمحمد، والمالكية، والحنابلة في رواية، وللشافعية وجه قريب من هذا القول، وهو أنه يحل لها النظر إلى ما يبدو منه في المهنة.

أدلته:

من المعقول: قالوا: إن حكم النظر عند

اختلاف الجنس، غلظ في الشرع عن حكمه عند اتحاد الجنس؛ مما يقتضي أن يكون نظر المرأة إلى الرجل أغلظ في الحكم من نظر الرجل إلى الرجل، وإن كانت عورته لا تختلف، حتى إنه لا يباح للمرأة أن تغسل الرجل بعد موته، ولو كانت هي في النظر إليه كالرجل في النظر إلى الرجل؛ لجاز لها أن تغسله بعد موته.

القول الثالث: أن حكم نظرها إليه كحكم نظره إليها:

فلا يحل أن ترى منه إلا ما يحل له أن يرى منها، وهو مذهب الشافعية في مقابل الأصح، ورواية عن أحمد، قدمها في الهداية، والمستوعب، والخلاصة، والرعايتين، والحاوي الصغير، وقطع بها ابن البنا، واختاره ابن عقيل، لكن النووي جعله هو الأصح من مذهب الشافعية، تبعًا لجماعة من الأصحاب، وما قطع به صاحب المهذب.

وقد تقدم أن القول الصحيح الذي عليه الفتوى عند الشافعية، أن الرجل لا يحل له أن ينظر من المرأة الأجنبية الشابة إلى أي شيء من بدنها، وأن مقابله جواز نظره إلى الوجه والكفين مع الكراهة.

وبناء على القول الصحيح في حكم نظر الرجل إلى المرأة؛ يكون مقتضى هذا القول في حكم نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي هو التحريم مطلقًا، لكن قال الجلال البلقيني: هذا لم يقل به أحد من الأصحاب، واتفقت الأوجه على جواز نظرها إلى وجه الرجل وكفيه عند الأمن من الفتنة.

أدلته: أولاً: من القرآن الكريم:

قال تعالى: «وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ» (النور: ٣١)؛ وجه الدلالة: أن الله تعالى أمر النساء بغض أبصارهن كما أمر الرجال.

ثانيًا: من السنة النبوية: عن أم سلمة رضي الله عنها أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم - وميمونة، إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه، فقال صلى الله عليه وسلم: احتجبا منه، فقلت: يا رسول الله! أليس هو أعمى لا يبصرنا؟!، فقال صلى الله عليه وسلم: أفعمياوان أنتما، ألستما تبصرانه"(رواه الترمذي، وضعفه الألباني).

وجه الدلالة: قالوا: لو كان نظر النساء إلى الرجال مباحًا لما أمرهما الرسول صلى الله عليه وسلم بالاحتجاب عن ابن أم مكتوم رضي الله عنه وهو أعمى، ولما أنكر عليهما النظر إليه.

٢- عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن نَظَرِ الفُجَاءَةِ فأمَرَنِي أنْ أصْرِفَ بَصَرِي» (رواه البخاري، ومسلم)، وفي رواية عن بريدة بن الحصيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا عليُّ لا تتبعِ النَّظرةَ النَّظرةَ، فإنَّ لَكَ الأولى وليسَت لَكَ الآخِرَةُ» (رواه أبو داود، وصححه الألباني).

وجه الدلالة: أن النساء والرجال في أحكام الشرع سواء ما لم يأت دليل مخصص.

ثالثًا: من المعقول:

قالوا: إن النساء أحد نوعي بنى آدم، فحرم عليهن النظر إلى النوع الآخر، قياسًا على الرجال، يؤيده أن المعنى المحرم للنظر هو خوف الفتنة، وهو متحقق في نظر المرأة إلى الرجال، بل أشد شهوة، وأسرع افتتانًا.

القول الرابع: أنه يكره للمرأة أن تنظر إلى وجه الرجل، وكفيه، وقدميه، ولا يحرم عليها ذلك؛ وإنما يحرم عليها النظر إلى ما سوى ذلك، وهو اختيار الشيخ تقي الدين، واعتبره ظاهر كلام أحمد، والقاضي.

أدلته: من المعقول: قياسًا على من يرى أن وجه المرأة وكفيها وقدميها ليس بعورة، فيكره لها النظر إليها، ويحرم ما عدا ذلك.

القول الراجح:

هو القول الثالث لقوة أدلتهم، وسلامتها عن المعارض، ولأنه هو الأحوط.

قال النووي رحمه الله في " صحيح مسلم ": «الصحيح الذي عليه جمهور العلماء وأكثر الصحابة أنه يحرم على المرأة النظر إلى الأجنبي، كما يحرم عليه النظر إليها» اهـ.

وقال ابن تيمية رحمه الله في " مجموع الفتاوى": «وقد ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة أن تنظر إلى الأجانب من الرجال بشهوة ولا بغير شهوة أصلاً» اهـ.

وقال ابن كثير رحمه الله في " تفسيره ": «ذهب كثير من العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة النظر إلى الرجال الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلاً» اهـ.

والحمد لله رب العالمين.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ - 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوةً حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن الكريم، والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخلقًا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

مفاجأة

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٩ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة ـ عابدين ت، ٢٩٣٦٥١٧ - ٣٩١٥٤٥٦

سعر الكرتونة

١٠٠٠ جنيه مصري بدلا من ١٢٥٠

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

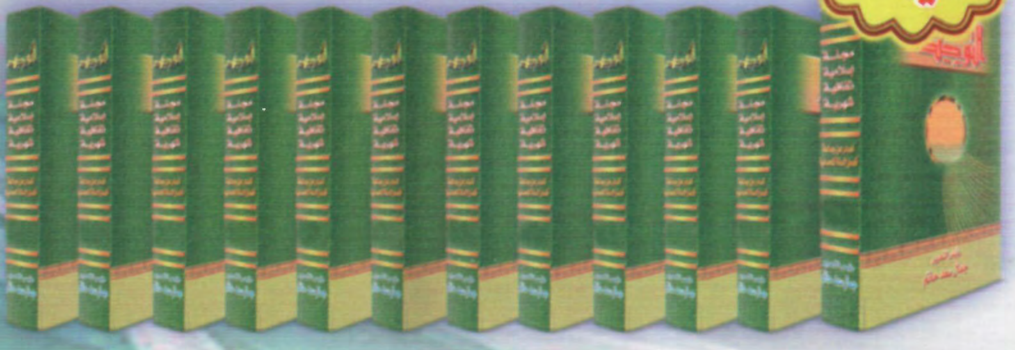

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513